

أغنى الناس



أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة

 www.islamiccoa.com/lms

 +989217854824

أغنى الناس	الكتاب:
جمعية المعارف الإسلامية الثقافية	نشر:
جمعية المعارف الإسلامية الثقافية	إعداد:
شبكة المعارف الإسلامية_www.almaaref.org	الإعداد الإلكتروني:
الأولى، كانون الأول ٢٠٠٣م - شوال ١٤٢٤هـ	الطبعة:
جميع حقوق الطبع محفوظة ©	

أغنى الناس

إعداد

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبيينا أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهرين الأكرمين الذين من تولاهم نجا ومن تخلف عنهم غرق وهوى.

اعتقد التائهون أن الغنى هو المكاسب المادية التي تجلب الملذات، وتؤمن الشهوات، ولكن الإسلام بيّنه بصورته الحقيقية، إذ أنه يقوم على أسس إيمانية متينة نابعة من ركيزة معنوية، لا تُكسر ولا تنتهي.

هذا الكتاب فيه عناصر القوة التي يتشكل منها غنى الروح والعقل والنفس، وضعناه بين يدي القارئ زيادة في رصيده الإيماني والأخلاقي، ليتمكن من تخطي المطبات المادية التي تُشغل الإنسان وتهلكه.

أغنى الناس، في اثني عشر درساً، وفي كل درس محطات تنتج السعادة، وتبعث الاطمئنان، فلو تسقى للقارئ العزيز تتبعها وفهمها، لعرف أن الارتباط بالغني المطلق هو الغنى.

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

التوكل

عن أبي عبد الله عليه السلام: "إنَّ الغنى والعزَّ يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا"^١.

عن الإمام علي عليه السلام: "غنى المؤمن بالله سبحانه"^٢.

وعنه أيضاً عليه السلام: "الغنى بالله أعظم الغنى، الغنى بغير الله أعظم الفقر والشقاء"^٣.

وعنه عليه السلام: "من استغنى بالله افتقر الناس إليه"^٤.

لتوكل لغة وشرعاً

التوكل حسب ما ورد في بعض المفاهيم اللغوية، هو عبارة عن: "إظهار العجز والاعتماد على الغير، وعند أهل الشرع: هو الثقة بما عند الله تعالى، واليأس مما في أيدي الناس، ويقال: المتوكل على الله يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره"^٥.

"يقال... وكلت أمري إلى فلان أي أُلجأت إليه واعتمدت فيه عليه"^٦.

فالتوكل هو الاعتماد على الغير، وبين الاعتماد على المخلوق والاعتماد على الخالق فرق كبير، وبين الوثوق بالفقير والوثوق بالغني المطلق مساحة واسعة.

فالتوكل على الله هو سبيل الراشدين، وديدن العقلاء والمؤمنين، وهو الطريق الطبيعي المنطقي، باعتبار أن الله تعالى هو المتصف بكل الصفات الكمالية، فهو الخالق والقوي والغني والرحيم إلى آخر صفاته وأسمائه الحسنى.

١- الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، مج ١٠، ص ٦٨١، ح ٢٢٢٥٠.

٢- ن.م، مج ٧، ص ٢٩٣، ح ١٥٠٢٤.

٣- ن.م، ص ٢٩٤، ح ١٥٠٢٥.

٤- ن.م، ص ٢٩٤، ح ١٥٠٢٦.

٥- الزبيدي، تاج العروس، بيروت، مكتبة الحياة، ج ٨، ص ١٦٠.

٦- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ج ١١، ص ٧٣٤.

يقول العلامة الطباطبائي قدس سره: "إنه تعالى متصف بصفات كريمة يؤمن معها أن يستغش عباده المتوكلين عليه المسلمين له أمورهم، فإنه رؤوف بعباده رحيم غفور ودود كريم حكيم عليم، ويجمع الجميع إنه أرحم الراحمين، على أنه لا يغلب في أمره ولا يقهر في مشيئته، وأما الناس إذا امنوا على أمر واطمئن إليهم في شيء فإنهم أسراء الأهواء وملاعب الهوسات النفسانية، ربما أخذتهم كرامة النفس وشيمة الوفاء وصفة الرحمة، فيحفظوا ما في اختيارهم أن يحفظوه ولا يخونوه، وربما خانوا ولم يحفظوا، على أنهم لا استقلال لهم في قدرة ولا استغناء لهم في قوة وإرادة"^٧.

التوكل والأسباب الطبيعية

وهل إن الاعتماد على الله تعالى يعني ترك الأسباب الطبيعية في الحياة؟ وهل معنى ذلك أن لا يتعامل الإنسان مع الناس، وينزوي في زاوية بيته منعزلاً عن حركة الحياة ونشاطها؟

بالطبع لا، ليس المراد بالتوكل على الله ترك الأسباب، فإن الإنسان عليه أن يسير وفقاً للأسباب التي وضعها الله تعالى، ولكن مع هذا عليه أن يستشعر في نفسه أنه ضعيف ولا استقلال له في إدارة أموره، وأن الأسباب العادية باستقلالها لا تقوى على إيصاله إلى ما يبتغيه من المقاصد، بل عليه أن يلتجئ في أموره إلى وكيل يصلح شأنه ويدبر أمره أحسن تدبير، فذلك الوكيل هو الله تعالى، العالم بكل تفاصيل الكون، المطلع على عباده، مسبب الأسباب، ومقلب القلوب، القاهر الذي لا يقهره شيء، الغالب الذي لا يغلبه شيء، يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد.

التوكل دعم للروح

إنّ التوكل على الله، قوّة للنفس، ودعم قوي للروح، وإصلاح لقلب الإنسان وحياته.

يقول العلامة الطباطبائي قدس سره في هذا المجال: "إن مضي الإرادة والظفر بالمراد في

٧- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ح ١١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط ١٤١٢ هـ، ص ٢١٥ ٢١٤.

نشأة المادة في الحياة يحتاج إلى أسباب طبيعية وأخرى روحية، والإنسان إذا أراد الورد في أمر يهّمه وهيئاً من الأسباب الطبيعية ما يحتاج إليه لم يحل بينه وبين ما يتغيه إلا احتلال الأسباب الروحية النفسية كوهن الإرادة والخوف والحزن والطيش والشره والسفه وسوء الظن والتشائم وغير ذلك، وهي أمور هامة عامة، وإذا توكل على الله سبحانه وفيه اتصال بسبب غير مغلوب البتة، وهو السبب الذي فوق كل سبب قويت إرادته قوة لا يغلبها شيء من الأسباب الروحية المضادة المنافسة فكان نيلاً وسعادة^٨.

التوكل في القرآن نماذج

لقد ورد كثير من الآيات حول صفة التوكل على الله تأتي على نماذج منها:

• دعوة إلى التوكل

"وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"^٩ ... "وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"^{١٠}.

• الأنبياء والصالحون وصفة التوكل

"فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا..."^{١١}، "رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"^{١٢}.
"وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا"^{١٣}.

• الله كافٍ للمتوكل عليه

"وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ"^{١٤}، "وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا"^{١٥}.

• التوكل على الله لا يناهز إرادة وعزم الإنسان

"فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ"^{١٦}.

• الله يحب المتوكلين

"...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"^{١٧}.

٨- الميزان في تفسير القرآن، م.س، مج ٤، ص ٦٥.

٩- التوبة: ٥١

١٠- إبراهيم: ١٢

١١- يونس: ٨٥

١٢- الممتحنة: ٤

١٣- إبراهيم: ١٢

١٤- الطلاق: ٣

١٥- النساء: ٨١

١٦- آل عمران: ١٥٩

١٧- آل عمران: ١٥٩

التوكل على الله في الأحاديث

• معنى التوكل

"جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قلت، وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه، قلت وما هو؟ قال: الزهد وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الأخلاص وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: اليقين وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: إن مدرجة ذلك التوكل على الله عز وجل، فقلت: وما التوكل على الله عز وجل؟ فقال: العلم بأن المخلوق لا يضُرُّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطع أحداً سوى الله، فهذا هو التوكل...^{١٨}."

وعن الإمام علي عليه السلام: "التوكل التبري من الحول والقوة...^{١٩}."
وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن حد التوكل، فقال: "أن لا تخاف مع الله شيئاً"^{٢٠}.

• ما يورث التوكل

عن الإمام علي عليه السلام: "التوكل من قوّة اليقين"^{٢١}.
وعنه عليه السلام: "إن حسن التوكل لمن صدق الإيمان"^{٢٢}.
وعنه عليه السلام: "من وثق بالله توكل عليه"^{٢٣}.

• ثمرة التوكل

القوّة: فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله"^{٢٤}.
عن الإمام علي عليه السلام: "أصل قوّة القلب التوكل على الله"^{٢٥}.
التفاؤل: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطيرة شرك، وما منّا إلا، ولكن الله يذهب بالتوكل"^{٢٦} ويقصد بالطيرة بفتح الياء هو التشاؤم بالشيء.

١٨- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٣٧٣.

١٩- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ١٠، ص ٦٧٦، ح ٢٢٢٢٥.

٢٠- م.ن. ح ٢٢٢٢٦.

٢١- م.ن. ص ٦٨٠، ح ٢٢٢٣٦.

٢٢- م.ن. ح ٢٢٢٣٨.

٢٣- م.ن. ح ٢٢٢٤١.

٢٤- م.ن. ص ٦٨١، ح ٢٢٢٤٥.

٢٥- م.ن. ح ٢٢٢٤٨.

٢٦- م.ن. ص ٦٨٢، ح ٢٢٢٥٨.

الأمل: عن الإمام علي عليه السلام "الثقة بالله أقوى أمل" ٢٧.

الراحة والسرور: وعنه أيضاً عليه السلام: "الاتكال على الله أروح" ٢٨.

وعنه عليه السلام: "من وثق بالله أراه السرور، ومن توكل عليه كفاه الأمور" ٢٩.

وعنه عليه السلام: "ليس لمتوكل عناء" ٣٠.

الكفاية والرزق: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من توكل على الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب" ٣١.

بقاء الغنى والعز: عن الإمام الصادق عليه السلام: "إن الغنى والعز يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا" ٣٢.

• بين الاتكال على الله والاتكال على غيره

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن رجلاً توكل على الله بصدق النية لاحتاجت إليه الأمور ممن دونه، فكيف يحتاج هو، ومولاه الغني الحميد" ٣٣.

وعنه صلى الله عليه وسلم: "لا تتكل إلى غير الله فيكلك إليه" ٣٤.

• الإثكال على النفس بمعنى الغرور بالنفس

عن الإمام علي عليه السلام: "الثقة بالنفس من أوثق فرص الشيطان" ٣٥.

وعنه عليه السلام: "إن أبغض الرجال إلى الله تعالى لعبداً وكله الله إلى نفسه، جائراً عن قصد السبيل، سائراً بغير دليل،

إن دُعي إلى حرث الدنيا عمل، وإن دُعي إلى حرث الآخرة كسل" ٣٦.

إن التوكل والأسباب الظاهرية لا يعني تعطيل العقل والعمل بالأسباب الظاهرية فقد ورد:

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رداً على سؤال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟

٢٧- ن.م، ح ٢٢٢٦٤.

٢٨- ن.م، ح ٢٢٢٥٧.

٢٩- ن.م، ح ٢٢٢٦٥.

٣٠- ن.م، ح ٢٢٢٢٥.

٣١- ن.م، ص ٦٨٣، ح ٢٢٢٦٧.

٣٢- ن.م، ص ٦٨١، ح ٢٢٢٥٠.

٣٣- ن.م، ص ٦٨١، ح ٢٢٢٥١.

٣٤- ن.م، ص ٦٨٩، ح ٢٢٢٩١.

٣٥- ن.م، ص ٦٩٢، ح ٢٢٣٠١.

٣٦- م.ن، ص ٦٩٢، ح ٢٢٣٠٤.

قال صلى الله عليه وسلم: "اعقلها وتوكل"^{٣٧}.
وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: "لا تدع طلب الرزق من حلّه فإنه عون لك على دينك واعقل راحلتك
وتوكل"^{٣٨}.

• بين التوكل والتوكل

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "أنه مرّ يوماً على قوم فرأهم أصحاباً جالسين في زاوية المسجد، فقال عليه السلام: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال عليه السلام: لا، بل أنتم المتأكلون، فإن كنتم متوكلين فما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا، وإذا نفدنا صبرنا، قال عليه السلام: هكذا تفعل الكلاب عندنا! قالوا: كيف تفعل؟ قال: إذا وجدنا بذلنا، وإذا فقدنا شكرنا"^{٣٩}.

خاتمة:

من كل الذي مرّ، سواء في القرآن الكريم أو في الأحاديث الشريفة، نرى، أن مفهوم التوكل هو مفهوم لا بدّ له للإنسان المؤمن، لكي ينطلق في الحياة، انطلاقاً التفاؤل والنشاط، لا خنوع الكسل والبطالة.

ونرى أن هذه الصفة، كانت من الصفات المترسّخة في نفوس الأنبياء والصالحين، ولذلك كانوا أقوىاء بالله، أصحاب إرادات صلبة، وعزائم ماضية.

ومفهوم التوكل لا يعني إلغاء العقل، والسير على السنن والأسباب الطبيعية التي أودعها الله في خلقه.
لذلك نقول في نهاية المطاف: إعقلوا وتوكلوا، تعقلوا وتوكلوا، تفكروا وتوكلوا، إعملوا وتوكلوا، هذا هو شعار الإسلام للتوكل.

اللهم اجعلنا من المتوكلين عليك، والواثقين بغناك ولطفك، فالمتوكل عليك غني بك، والمتوكل على غيرك فقير إليه.

٣٧- ن.م، ص ٦٨٥، ح ٢٢٢٧٧.

٣٨- ن.م، ص ٦٨٥، ح ٢٢٢٧٩.

٣٩- ن.م، ص ٦٨٦، ح ٢٢٢٨٢.

س: هل يجوز شراء الخنازير الوحشية التي تصطادها إدارة الصيد وفلاحو المنطقة حفاظاً على المراتع والمزارع لتغليب لحومها وتصديرها إلى البلاد غير الإسلامية؟

ج: لا يجوز شراء وبيع لحم الخنزير كطعام للإنسان ولو كان لغير المسلم، ولكن لو كانت له منافع عقلائية محملة معتد بها من قبيل الاستفادة منه في تغذية الحيوانات والاستفادة من دهنه في صناعة الصابون ونحو ذلك فلا مانع من بيعه وشرائه لذلك.

س: هل يجوز العمل في معمل تغليب لحم الخنزير، أو في الملاهي الليلية، أو مراكز الفساد؟ وما هو حكم الدخل الحاصل من ذلك؟

ج: لا يجوز الاشتغال بالأمور المحرمة شرعاً من قبيل بيع لحم الخنزير أو الخمر أو إنشاء وإدارة ملاهي ليلية أو مراكز الفساد والفحشاء والقمار وشرب الخمر وأمثالها، ويحرم التكسب بها، ولا تملك الأجرة المأخوذة مقابل ذلك.

س: هل يصح بيع الخمر أو لحم الخنزير أو أي محرّم الأكل ممن يستحله له أو إهداؤه له؟

ج: لا يجوز بيع ولا إهداء ما لا يحلّ أكله أو شربه إذا كان لغرض الأكل والشرب، أو مع علمه بأن المشتري يريد أن يأكله أو يشربه ولو كان ممن يستحل ذلك^{٤٠}.

٤٠- أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامنئي، المعاملات ، ج٢، ص٧، ط ١٩٩٩، الدار الإسلامية.

خلاصة الدرس

- أ- التوكل لغة: الاعتماد على الغير، وفي الشرع: التوكل على الله يعني الاعتماد عليه والثقة به، واليأس مما في أيدي الناس.
- ب- هناك فرق شاسع، بين أن يعتمد الإنسان على الغني المطلق، وبين أن يعتمد على الضعيف الفان.
- ج- التوكل على الله لا يعني ترك العمل، ولا يعني ترك الأسباب الطبيعية.
- د- التوكل على الله قوة للنفس والروح والإرادة.
- هـ- التوكل في القرآن: القرآن يدعو المؤمنين إلى التوكل إلى الله، وإن الله كافٍ الذي يتوكل عليه، ومحِبُّ له، ويؤكد صفة التوكل في نفوس الأنبياء والصالحين، ولا ينفي إرادة وعزم المتوكل على الله تعالى.
- و- التوكل في الأحاديث: تذكر الأحاديث العديد من ثمرات التوكل، مثل: قوة القلب والتفاؤل، والسرور، وتمييز بين التوكل والتواكل، وتعطي دوراً للأسباب الطبيعية في الحياة.

أسئلة حول الدرس

- ١- ما هو معنى التوكل، لغة وشرعاً؟
- ٢- كيف يختار الإنسان من يتكل عليه؟
- ٣- هل يعني التوكل الكسل والخنوع، وترك الأسباب الطبيعية؟
- ٤- ما هي فائدة التوكل على النفس الإنسانية؟
- ٥- اذكر بعض آيات القرآن الكريم، في التوكل، وعنوانها؟
- ٦- اذكر بعض الأحاديث، في التوكل، وعنوانها؟

للحفظ

عن الإمام علي عليه السلام: "غنى المؤمن بالله سبحانه."^{٤١}
عن الإمام علي عليه السلام: "أصل قوة القلب التوكل على الله."^{٤٢}

٤١- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ١٠، ص ٦٧٦، ح ٢٢٢٢٥.

٤٢- م.م، مج ١٠، ص ٦٨١، ح ٢٢٢٤٨.

توكل الإمام الخميني قدس سره

من أبرز الصفات الروحية للإمام اطمئنان النفس... وكان كلامه وكل مظاهر حياته تطفح بالاطمئنان والتوكل.

• عندما أُلقي القبض عليه وأرادوا نقله إلى طهران كان بعض أنصاره حول السيارة ييكون والإمام يصبرهم، وفي الطريق يقول الإمام انخرفت السيارة عن الطريق الأصلي إلى جادة ترابية فأيقنت أنهم يريدون قتلي... ولكن رجعت السيارة مجدداً إلى الشارع العام فتأملت في نفسي فوجدت أنني لم اضطر أبداً.

• يقول أحد المقربين من الإمام: أنتم تعلمون أن عبء حوادث الثورة كان دائماً على كاهل الإمام... ولولا ذلك الاطمئنان والتوكل لكان من المستحيل أن يستطيع تحمل كل هذه المشاكل. كان المسؤولون في أكثر الحوادث يخرجون عن طورهم ولم يكن وعيهم السياسي يكشف لهم عن أي مخرج ولكنه كان بجملة واحدة يُنهي كل اضطرابهم.

• في مجريات احتلال وكر التجسس الأمريكي، كان أكثر المسؤولين غير راضين... وفي كل يوم كانوا يطرحون أمراً جديداً، واحد يقول: ليس بالإمكان محاربة أمريكا، والثاني يقول: لقد أنزلت أمريكا قواتها في المنطقة، وآخر يقول: جاء الأسطول الأمريكي.

وحده الإمام كان يقول: أمريكا لا تستطيع أن ترتكب أية حماقة... ذات يوم شكى أحد الشخصيات الثورية أمام الإمام المؤامرات... ووضع الإمام بحدوء يده على صدره قائلاً: أنت لماذا تخاف؟ لا يحدث أي شيء.

...في الليلة التي وصل فيها إلى المكتب خبر استشهاد الاثنين وسبعين شخصاً... أصبنا جميعاً بدوار ولم نكن ندري كيف نوصل هذا الخبر إلى الإمام... الإمام الذي كان يحبّ بهشتي بقلبه وروحه حباً جمّاً، أوعز إلى الإذاعة أن لا تذيع الخبر لأن الإمام يستمع إلى نشرة آخر الليل... تمّ الاتفاق أن يذهب السيد أحمد والشيخ رفسنجاني في

اليوم التالي إلى الإمام لإخباره بما جرى بطريقة مناسبة خشية أن يصاب الإمام بسوء... وعندما وصلا لإخباره عزاهم الإمام وهداً روعهم^{٤٣}...

• عندما استشهد ولده السيد مصطفى... الذي كان باستطاعته أن يكتب في شبابه آلاف الصفحات في التفسير وأن يتفوق في المسائل الفقهية على الكثير من أساتذته... ولم يكن يترك التهجد وقيام الليل في شهادة شخصية كهذه، لم يهتز الإمام بمقدار ذرة وفي اليوم التالي يواصل تدريسه... وقد اشترك في تشييعه لاستحباب ذلك وكونه فقط عملاً يرضاه الله تعالى وفيما بعد كان وكأنه لم يفقد إبناً^{٤٤}.

٤٣- سيماء الصالحين، الشيخ رضا مختاري، ص ٣٢٠ ٣١٧، دار البلاغة، ط ١٩٩٢ م.

٤٤- ن.م، ص ٣١٩.

الآخرة

عن الإمام علي عليه السلام: "من أصبح والآخرة همه، استغنى بغير مال، واستأنس بغير أهل، وعز بغير عشيرة".^١

ضرورة الاعتقاد بالآخرة

إن وجهة نظر الإنسان نحو الموت وما بعده مهمة جداً في حياته، فكلما كانت نظرتة واقعية وموضوعية وصحيحة، كلما كانت حياته سعيدة ونشطة ومتحركة ومتفائلة، والعكس صحيح أيضاً.

فتركيبية الإنسان النفسية ومن ثم سلوكه وأخلاقه تتأثر جداً من خلال نظرتة إلى الموت وما بعده.

فليس التفكير في الموت وما بعده أو بالأحرى ليس الاعتقاد بوجهة نظر معينة تجاه الموت وما بعده فكرة عابرة تمر بالخيال وترحل، ولو حاول الإنسان أن يخرجها من خياله وشعوره، فإنها ستنزل رغماً عنه إلى لا شعوره وعقله الباطني وكيانه النفسي وتطبعه بطابع معين إما سلباً أو إيجاباً.

فعلى هذا ليس التفكير في الموت وما بعده موتاً بل حياة، أي له دخالة في حياة الإنسان وبنائه الروحي والنفسي والعقلي.

وأنتم إذا دققتم جيداً ستعرفون أن الإنسان إذا كانت نظرتة إلى الموت على أنه فناء ستكون تركيبته النفسية معقدة خائفة متشائمة مضطربة مستهترة متحللة، أما إذا كانت نظرتة على النقيض من ذلك واعتقد بأن الموت ليس انحلالاً تاماً ولا فناء محضاً، إنما حياة ثانية لها نكهتها الخاصة، فستكون حياته النفسية وتركيبته الروحية متفائلة مطمئنة ملتزمة.

١ - الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٢٩٧.

التفكير بالحياة بعد الموت هاجس إنساني

إن التفكير بما بعد الموت هاجس إنساني، ليس له طائفة أو دين خاص، فكل الناس إلى أي دين انتموا، حتى الملحد منهم، لا بد وأن يأتيه تساؤل، ماذا بعد الموت؟

وإذا استقرأتم التاريخ ترون أن هذا التساؤل، لا يخلو من أمة، أو من شخص. ولكن الناس يحاولون أن ينسوا هاجس ما بعد الموت، ليبعدوا الخوف عن أنفسهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

يقول أحد علماء النفس: إن الخوف من الموت يقود الإنسان إلى طرح الأسئلة التالية: لم، وإلى أين؟ ومعنى ذلك أن فكر الإنسان أكثر ما يشغله المصير النهائي للحياة البشرية^٢.

ولقد اخترع الناس الكثير لنسيان الموت، يقول بعض المفكرين: "إن الناس قد اخترعوا شتى ضروب اللهو أو التسلية حتى يتجنبوا الخوف من الوحدة أو العزلة."

ويقول أيضاً: "إنه لما كان الناس لم يهتدوا إلى علاج للموت والشقاء والجهل، فقد وجدوا أن خير الطرق للتنعم بالسعادة هي ألا يفكروا في هذه الأمور على الإطلاق"^٣.

وفي الحقيقة إن نسيان الناس لمصيرهم النهائي، أو بالأحرى تناسيه، ما هو إلا كما تفعل النعامة، حيث تظمر رأسها في التراب، وتحسب أن الذئب الآتي لن يأكلها!

اكتشاف ما بعد الموت يحيي أمماً وأفراداً

يقول بعض المفكرين: "إن اكتشاف الموت هو الذي ينقل بالشعوب والأفراد إلى مرحلة النضج العقلي أو البلوغ الروحي"^٤.

فعلاً إن قول هذا المفكر صحيح وتؤيده الوقائع التاريخية، للتدليل على هذه الفكرة نعطيكم مثلاً واحداً.

٢- تغلب على الخوف، مصطفى غالب، ص ٧٣.

٣- القول للفيلسوف باسكال نقلاً عن: ن.م، ص ١٣.

٤- القول للفيلسوف الإسباني أونامونو: ن.م، ص ٧٤.

الأمة العربية قبل الإسلام أكثرها كان منكراً للحياة ما بعد الموت، يقول تعالى: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ"^٥.

"أَنذَرَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ"^٦.

فكيف كانت حياتهم؟ كانت حياتهم حياة جهلٍ وتخلّف وتبعيّة، ولكن عندما جاء الإسلام، وغيّر نظرتهم إلى الموت وما بعده، تغيّر العرب تغيّراً جذرياً، فانطلقوا في الدنيا بكل انشراح وقوّة وغيّروا مجرى التاريخ بعد أن كانوا هملاً لا يخافهم أحد.

القرآن والموت وما بعده

لقد اهتم القرآن الكريم بموضوع الحياة بعد الموت اهتماماً لافتاً، مما يشير إلى أهميّة هذا الموضوع على حياة الأمم والأفراد، حتى أن القرآن الكريم قد قرن كثيراً بين الإيمان بالله واليوم الآخر، مما يشير إلى أن الإيمان بالله لا يكفي الإنسان الفرد والأمة في كماله الروحي وسكينته النفسية وصلاحه الأخلاقي والسلوكي، إن لم يكن مؤمناً باليوم الآخر.

يقول تعالى: "ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..."^٧.
"يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..."^٨.

إلى كثير من الآيات التي تقرن الإيمان بالله مع اليوم الآخر.
وهنا نماذج من الآيات المتعلقة بالآخرة:

• التفكير في الدنيا والآخرة:

"يُخَيِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَيَّاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"^٩.

• الدار الآخرة خير للمتقين:

"وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ لَذَّيْنِ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"^{١٠}.

٥- الجاثية: ٢٤

٦- الصافات: ١٧-١٦

٧- البقرة: ٢٣٢

٨- آل عمران: ١١٤

٩- البقرة: ٢٢٠

١٠- الأنعام: ٣٢

•الله يريد الآخرة:

"تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ" ١١.

•الموعظة تنفع المؤمن بالآخرة:

"ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" ١٢.

•الأعمى في الدنيا أعمى في الآخرة:

"وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا" ١٣.

•الحياة البرزخية:

"حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" ١٤.

"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" ١٥.

الأحاديث وما بعد الموت:

يحدثنا التاريخ أنه لما انهزم أصحاب الجمل ركب الإمام علي عليه السلام بغلة رسول الله الشهباء وسار في القتلى يستعرضهم فمرّ بكعب بن سور قاضي البصرة وهو قتيل، فقال: أجلسوه، فأجلس، فقال عليه السلام: "ويلمك يا كعب بن سور، لقد كان علم لو نفعك... ولكن الشيطان أضلك فأزلك فجعلك إلى النار" ١٦.

وفي نهج البلاغة أنه لما بلغ الإمام عليه السلام مقبرة كانت خلف سور الكوفة، فخطب الموتى، فقال كلاماً في تقلب الدنيا، ثم قال: "هذا ما عندنا فما خبر ما عندكم"، ثم أضاف عليه السلام: "أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى" ١٧.

•مخلوقون للآخرة:

عن الإمام علي عليه السلام: "إنك مخلوق للآخرة فاعمل لها، إنك لم تخلق للدنيا فازهد فيها" ١٨.

١١ - الأنفال: ٦٧

١٢ - الطلاق: ٢

١٣ - الإسراء: ٧٢

١٤ - المؤمنون: ٩-١٠

١٥ - آل عمران: ١٦٩

١٦ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ص ٢٤٨.

١٧ - نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ١٣٠.

١٨ - ميزان الحكمة، الري شهري، مج ١، ص ٣٧، ح ١٢٦.

• بين العمل للدنيا والعمل للآخرة:

عن الإمام علي عليه السلام: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً"^{١٩}.

• ثمرات ذكر الآخرة:

عن الإمام علي عليه السلام: "ذكر الآخرة دواء وشفاء، وذكر الدنيا أدواء"^{٢٠}.
وعنه عليه السلام: "من أكثر ذكر الآخرة قلّت معصيته"^{٢١}.

خاتمة:

أيّها الأخوة، في نهاية المطاف، لا بد لنا أن نكون متوازنين بين الدنيا والآخرة، وأن يكون همّنا الأساس هو النجاة في اليوم الآخر، في يوم القيامة، لأن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فاعملوا وجدّوا واجتهدوا، ليوم لا ينفع فيه إلا العمل، وليس كل عمل، بل العمل الخالص لله تعالى.

١٩- ن.م، ص٣٧، ح ١٢٩.

٢٠- ن.م، ص٣٦، ح ١٢٠.

٢١- ن.م، ص٣٧، ح ١٢١.

س: في الوقت الحاضر يتولى أشخاص أجراء أو مسؤولون عن شؤون المقابر أمور تكفين ودفن الموتى، سواء كان رجلاً أو امرأة، فهل هناك إشكال في مسألة الدفن مع العلم بأن أولئك المباشرين لأمر التكفين والدفن ليسوا من محارم الميت؟
ج: تشترط المماثلة في تغسيل الميت، ومع التمكن من تغسيل الميت بواسطة المماثل لا يصح مباشرة غير المماثل لتغسيله، ويكون تغسيله باطلاً، وأما التكفين والدفن فلا يشترط فيهما المماثلة.

س: شخص توفي في حادث اصطدام أو سقوط من ارتفاع شاهق، فما هو التكليف في حالة بقاء نرف الدم لدى المتوفى؟ وهل يجب عليهم الانتظار حتى يتوقف تلقائياً، أو بواسطة الوسائل الطبية أم أنهم يبادرون إلى دفنه بالرغم من حالة النرف الموجودة؟
ج: يجب مع الإمكان تطهير بدن الميت قبل الغسل، وإذا أمكن الانتظار من أجل توقف النرف، أو المنع منه وجب ذلك.

س: عظم ميت دفن قبل ٤٠ أو ٥٠ سنة، وقد اندرست مقبرته وتحولت إلى ساحة عامة، وقد شقوا في تلك الساحة جدولاً فظهرت فيه عظام الموتى، فهل هناك إشكال في لمس تلك العظام من أجل النظر إليها؟ وهل العظام نجسة أم لا؟

ج: عظم الميت المسلم الذي تمّ تغسيله ليس بنجس، ولكن يجب دفنه تحت التراب^{٢٢}.

٢٢- أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامني، العبادات ج ١، ص ٦٨ ٦٧، ط ١٩٩٩، ٣، الدار الإسلامية.

خلاصة الدرس

- أ- الاعتقاد بالآخرة ضروري لتكامل الإنسان، الروحي والعقلي والسلوكي، وليس أمراً بسيطاً لا أثر له على حياته. والفرق يظهر واضحاً بين إنسان يؤمن بالآخرة وإنسان لا يؤمن بها.
- ب- التفكير بالحياة بعد الموت هاجس إنساني، لا يخلو منه إنسان، حتى الملحد الكافر. والناس اخترعوا الكثير من الوسائل لتناسي الموت وما بعده، إلا أنهم كالنعامة التي ضرب المثل بها على حماقة.
- ج- اكتشاف ما بعد الموت يحيي أمماً وأفراداً، وصدق بعض المفكرين حيناً قال: "إن اكتشاف الموت هو الذي ينقل بالشعوب والأفراد إلى مرحلة النضج العقلي أو البلوغ الروحي"، ومثال ذلك المجتمع العربي.
- د- لقد اهتم القرآن الكريم بموضوع الحياة بعد الموت، وقرن كثيراً بين الإيمان بالله واليوم الآخر، مما يشير إلى أن الإيمان بالخالق لا يكفي لتكامل الإنسان، دون الإيمان بالثواب والعقاب في يوم القيامة.
- و- القرآن الكريم دعا إلى التفكير في الآخرة ولم ينسى التفكير في الدنيا، ولكن الله يريد الآخرة. وتحدث عن حياة البرزخ التي تعني الحياة بعد الموت.
- هـ- الأحاديث الشريفة تحدثت أيضاً عن البرزخ، وأكدت أننا مخلوقون للآخرة، ووازنتم بين العمل للدنيا والآخرة، وذكرت ثمرات للإيمان بالآخرة وذكرها، منها قلة المعاصي، وشفاء الروح.

أسئلة حول الدرس

- ١ - هل الاعتقاد بالآخرة أمر بسيط لا أهمية له؟
- ٢ - هل المؤمن فقط يفكر بالحياة بعد الموت؟
- ٣ - ما هي ثمرات اكتشاف ما بعد الموت؟
- ٤ - اذكر بعض الآيات، في الآخرة، وعنونها؟
- ٥ - اذكر بعض الأحاديث، في الآخرة، وعنونها؟

للحفظ

قال تعالى: "تريدون عرض الدنيا واللّه يريد الآخرة."
عن الإمام علي عليه السلام: "من أكثر ذكر الآخرة قلّت معصيته."

كراهة الموت

لا بد أن نعرف بأن كراهتنا للموت، وخوفنا منه نحن الناقصين، لأجل... أن الإنسان حسب فطرته التي فطرها الله سبحانه، وجبلته الأصيلية، يحب البقاء والحياة، ويتنفر من الفناء والممات، وهذا يرتبط بالبقاء المطلق والحياة الدائمة السرمدية، أي البقاء الذي لا فناء فيه والحياة التي لا زوال فيها. إن بعض الكبار قد أثبتوا المعاد يوم القيامة مع هذه الفطرة التي تحب الحياة والبقاء.

وحيث أن في فطرة الإنسان هذا الحب وذاك التنفر، فإنه يحب ويعشق ما يرى فيه البقاء، ويحب ويعشق العالم الذي يرى فيه الحياة الخالدة، ويهرب من العالم الذي يقابله. وحيث إننا لا نؤمن بعالم الآخرة، ولا تطمئن قلوبنا نحو الحياة الأزلية، والبقاء السرمدي لذلك العالم، نحب هذا العالم، ونهرب من الموت حسب تلك الفطرة والجبلّة.

أن الإدراك العقلي يختلف عن الإيمان والاطمئنان القلبي. نحن ندرك عقلاً أو نصدق أحاديث الأنبياء تبعداً بأن الموت... حق، ولكن قلوبنا لا تحظى بشيء من هذه المعرفة، ولا علم لها عن ذلك، بل إن قلوبنا قد أخلدت إلى أرض الطبيعة... ونعتبر الحياة في هذه الحياة، ولا نرى بقاء وحياة للعالم الثاني، عالم الآخرة^{٢٣}.

٢٣- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٣٢٩، ط ١٩٩١، دار التعارف.

الدرس الثالث

حقيقة الاسلام ومراتبه

يقول الإمام علي عليه السلام: "أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق"^١.

هذه الرواية من لسان أمير البلغاء والحكماء، تعطي للعقل دوراً مهماً في حياة الإنسان، وفي مقابل العقل أي الحمق تعطيه محلاً هابطاً في وجود الإنسان.

فبين العقل والحمق مساحة واسعة، فأينما وجد العقل كان الغنى، وأينما وجد الحمق كان الفقر.

ولقد فسّر العقل لغة: "العلم بصفات الأشياء من حسننها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين أو شرّ الشرّين أو مطلق الأمور، أو القوة التي بها يكون التمييز بين القبح والحسن..."^٢.

ولقد فسّر الحمق لغة: "وحقيقة الحمق وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه،... والأحمق قليل العقل"^٣.

ولذا عندما سئل الإمام الصادق عليه السلام ما العقل؟ قال: "ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: ذلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل"^٤.

إذن فالعقل حسب الرواية هو ما يؤدي إلى طاعة الله وعبادته، ونتيجة ذلك الوصول إلى رضا الله وجنة الخلد، وطبيعي أنّ هذا العقل هو الذي يميّز بين الحسن والقبح والكمال والنقصان، ويميّز بين الخير والشر.

أما الخداع والفسق والفجور والفساد والفحشاء، هذه كلها خلاف العقل، حتى ولو كان الإنسان أذكى الأذكاء، ومن السّاسة البارزين، ومن المخترعين الجهابذة، إلا أنه إن لم يوصله عقله إلى الله والصالح فهو ليس بعقل، في المفهوم الإسلامي.

١- بحار الأنوار، المجلسي، ج ١، ص ٩٥.

٢- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج ٤، ص ١٨.

٣- تاج العروس، الزبيدي، ج ٦، ص ٢٢٣.

٤- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج ١، ص ٧٤.

فما نراه في الغرب من تطوّر علمي وتكنولوجي، شيء جيّد، ولكن هذا العقل الذي أوصل إلى هذا التطوّر التقني، هو ليس عقلاً بالمفهوم الإسلامي. إن العقل في الإسلام، هو الذي يوصل إلى الغنى المعنوي، والكمال الروحي والأخلاقي، أما الغنى المادي وإن كان ليس مرفوضاً إسلامياً دون الغنى النفسي فهذا لا يعني شيئاً في التصور الإسلامية.

وهنا لسائل أن يسأل طالما أن الإنسان يملك عقلاً، لماذا لم يصل كلّ الناس إلى الله؟ ولماذا ينغمس كثير من الناس في المفساد والغرب أكبر مصداق؟

هنا يأتي الجواب، إن هذا العقل الذي وضعه الله في البشر، ليميّزوا بين التقوى والفجور "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها" قد يصل إلى مرحلة لا يستطيع التمييز فيها وذلك لموانع وأسباب.

موانع العقل

هناك موانع كثيرة تعيق العقل وتقف حاجزاً بينه وبين الله أهمها على الإطلاق اتباع الهوى والشهوات.

١ - اتباع الشهوات: إنّ غلبة الشهوة على كيان الإنسان، يجعل هناك حجاباً عظيماً، بحيث يعطل العقل النوراني عن دوره، فلا يميّز بين القبيح والحسن.

والمقصود بالشهوات ما ذكر في الآية الكريمة "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المنقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا".

هنا أريد أن أعطيكم مثلاً من التاريخ، المجتمع الرومي، الذي كان مستغرقاً في الشهوات بحيث وصل إلى مرحلة لم يعد يتذوّق معنى الروح والأخلاق.

يقول درابر الأمريكي عن الدولة الرومية وهي في الحقيقة أم الحضارة الغربية الحالية: "لما بلغت الدولة الرومية في القوّة الحربية والنفوذ السياسي أوجها، ووصلت

٥ - آل عمران: ١٤.

في الحضارة إلى أقصى الدرجات، هبطت في فساد الأخلاق وفي الانحطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات.

بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتاراً، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرحة للتمتع، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ومن لهُو إلى لذة... كانت مواعدهم تزهو بأواني الذهب والفضة مرصعة بالجواهر، ويحتف بهم خدام في ملابس جميلة خلافة وعادات رومية حسان وغوان كاسيات عاريات غير متعففات... ويزيد في نعيمهم حمامات باذخة وميادين للهو واسعة ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال أو السباع... كان نظام روما المدني يشف عن أئمة الملك، ولكنه كان طلاءً خادعاً كالذي نراه في حضارة اليونان في عهد انحطاطها^٦.

مما سرده درابر نرى انزلاق الدولة الرومية في المفاسد والانحرافات وضعف الروح والأخلاق، وذلك لغلبة الشهوات.

العالم الغربي اليوم هو نسخة طبق الأصل عن المجتمع الرومي، فقد فقد المجتمع الغربي العقل النوراني باتباعه للشهوات، ولم يعد يدري الصواب من الخطأ، وانغمس في مفاسد سترديه إلى مزيلة التاريخ.

ولقد عبّر الصحافي الأمريكي John Gunther جون كونثر، عن نفسية الانجليز وعقليتهم المتبعة للشهوات المادية "إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة!"^٧.

إن المجتمع الغربي لإنغماسه في الشهوات لم يعد يؤمن حتى بالمسيحية كدين، يقول جون رئيس الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن: "سألت عشرين طالباً وتلميذة كلهم في أوائل العقد الثاني من أعمارهم: كم منهم مسيحي بأي معنى من المعاني فلم يجب بـ "نعم" إلا ثلاثة فقط، وقال سبعة منهم: إنهم لم يفكروا في هذه المسألة أبداً. أما العشرة الباقية فقد صرّحوا أنهم معادون للمسيحية..."^٨.

٦- ماذا فسر العالم بالخطا المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ١٨٤.

٧- ن.م، ص ٢٠٣.

٨- ن.م، ص ٢٠٠.

واليك بعض مفاسد الجاهلية الحديثة، لترى كيف فقدوا حاسة التمييز بين الحسن والقبح:

• ثمانية الاف جريمة عنصرية في عام واحد في أميركا.

• مليون وثمانمائة ألف طفل غير شرعي في بريطانيا.

• نحو تشريع البغاء في أوروبا.

• هولندا تجيز زواج المثليين، وفرنسا على الطريق ذاته^٩.

أليست هذه حماقات، تؤدي إلى الفقر المعنوي، وتمنع عن الغنى الروحي؟

٢- كثرة الذنوب... وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى "كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"^{١٠}، والقلب يطلق أيضاً على العقل.

قال الفراء: "قد يعبر بالقلب عن العقل كما في قوله: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، أي عقل"^{١١}.

٣- ترك جهاد النفس... فإن الإنسان الذي لا يربي نفسه ويراقبها ويجاهدها، فسيقع في الذنوب، وبالتالي ستحجب عنه الرؤية الصحيحة، "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"^{١٢}. أما من لم يجاهد فإنه سيفقد الهداية.

تنمية العقل

على الإنسان المؤمن بعدما عرف خطورة الحمق، وأهمية العقل، أن ينمي عقله ويسعى للوصول إلى الغنى الروحي والمعنوي.

ومما عرفت من موانع العقل، تعرف الأسباب التي تدعو إلى رقي العقل وتطوره، وهي كثيرة أهمها:

١- عدم اتباع الشهوات المنحرفة.

٩- مجلة نور الإسلام، عدد ٧٢ ٧١، ص ٩١، عدد ٧٦ ٧٥، ص ٩٧، عدد ٧٨ ٧٧، ص ٥٨٦.

١٠- المطففين: ١٤.

١١- لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٦٨٧.

١٢- العنكبوت: ٦٩.

٢- عدم الاقتراب من الذنوب.

٣- والجهاد الدائم والمتواصل ضد أهواء النفس.

ونزیدك هنا أموراً تساعد على التنمية العقلية، منها:

٤ - محالسة العلماء والصالحين: وهذا أمرٌ مهم في رقي العقل ونمائه، يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: "محالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، واداب العلماء زيادة في العقل... وكف الأذى من كمال العقل" ١٣.

٥ - قراءة القرآن والتدبر والتفكير بآياته: يقول الله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ١٤.

٦ - الاستزادة من العلم الإلهي، أي: التفقه في الدين، أو بمعنى عصري: أن تسعى لامتلاك الثقافة الإسلامية.

ففي القرآن آيات كثيرة تشير إلى أهمية العلم ودوره في ترقية العقل، مثل: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّئَلَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" ١٥.

لاحظ أن هذه الآية تشير إلى أن العالمين هم الذين يعقلون أمثال الله وآياته.

"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" ١٦.

"هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" ١٧.

العقل في القرآن

لقد حثَّ القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته على التعقل، ولطالما كرّر عبارة "أفلا تعقلون"، وهنا نماذج من ذلك: "ذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ١٨.

"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ١٩.

١٣- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج ١، ص ١٧٥.

١٤- يوسف: ٢.

١٥- العنكبوت: ٤٣.

١٦- فاطر: ٢٨.

١٧- الزمر: ٩.

١٨- البقرة: ٢٤٢.

١٩- آل عمران: ٦٥.

"يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْنِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ٢٠.

"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ٢١.

"...أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ٢٢.

"أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ٢٣.

"وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ٢٤.

"مَا أَوْتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ٢٥.

بعض ما ورد في السنة في العقل:

• كمال العقل فيمن يحبه الله:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: "لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال أدبر فأدبر، ثم قال: وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك أمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب" ٢٦.

• دعامة الإنسان العقل:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً، وأخلص الوجدانية لله وأقر بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات، ووارداً على ما هو آت، يعرف ما هو فيه ولأي شيء هو ها هنا، ومن أين يأتيه، وإلى ما هو صائر، وذلك كله من تأييد العقل" ٢٧.

• العقل دليل المؤمن:

عن أبي عبد الله عليه السلام: "العقل دليل المؤمن" ٢٨.

٢٠- آل هود: ٥١.

٢١- يوسف: ٢.

٢٢- يوسف: ١٠٩.

٢٣- الأنبياء: ٦٧.

٢٤- المؤمنون: ٨٠.

٢٥- القصص: ٦٠.

٢٦- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج ١، ص ٦٥.

٢٧- ن.م، ص ٣١٠.

٢٨- ن.م، ص ٣١٥.

• الفلاح مع العقل:

وعنه أيضاً عليه السلام: "لا يفلح من لا يعقل"^{٢٩}.

• فقد العقل فقد الحياة:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "... مفارقة الدين مفارقة الأمن، فلا يتهنأ بحياة مع مخافة، وفقد العقل فقد الحياة ولا يقاس إلا بالأموات"^{٣٠}.

• بين الإيمان والكفر قلة العقل:

عن أبي عبد الله عليه السلام: "ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل، قيل وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: إن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق فلو أخلص نيته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك"^{٣١}.

• الشباب والعقل:

في حديث عن ابن مسعود: "الشباب شعبة من الجنون، إنما جعله شعبة منه، لأنّ الجنون يزيل العقل، وكذلك الشباب قد يسرع إلى قلة العقل، لما فيه من كثرة الميل إلى الشهوات"^{٣٢}.

خاتمة:

في نهاية المطاف نقول: إن ما يميّز الإنسان عن الحيوان، هو العقل، الذي به يحيي الإنسان، ومن دونه يموت، حتى ولو كان حيّاً في الدنيا.

علينا أن نسعى بكلّ نشاط، لتنمية عقولنا بالجهاد الدائم والمتواصل ضد أهواء النفس، وبمجالسة العلماء الربّانيين، وبقراءة القرآن والتفكير، وبالسيطرة على شهواتنا التي تُنزل بنا إلى مرتبة الحيوانية، وبغير ذلك من وسائل التنمية العقلية التي مرّت معكم.

ألا نسمع نداء الله لنا في القرآن الكريم؟ أفلا تعقلون؟...

٢٩- ن.م، ص ٣٢٠.

٣٠- ن.م، ص ٣٢٧.

٣١- ن.م، ص ٣٣٢.

٣٢- لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٥٠٠.

من فقه الاسلام

س: هل يأثم الإنسان بترك تعلم المسائل المبتلى بها؟

ج : يأثم بترك الواجب أو بفعل الحرام فيما لو أدى عدم تعلمه لتلك المسائل إلى ذلك.

س: ما هو حكم الكسل في تحصيل العلم وكذلك إضاعة الوقت؟ وهل هو حرام؟

ج : في تضييع الوقت بالبطالة اشكال، وإذا كان الطالب يستفيد من المزايا المخصصة للطلبة فإن عليه أن يتابع المنهج الدراسي الخاص بهم وإلا فلا يجوز له الاستفادة من تلك المزايا من الراتب والمنحة وغيرها.

س: ما هو حكم شراء وبيع ومطالعة كتب الضلال، ككتاب الآيات الشيطانية؟

ج : لا يجوز بيع وشراء وحفظ كتب الضلال إلا من أجل الرد عليها، بشرط أن يكون قادراً علمياً على ذلك^{٣٣}.

٣٣- أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامنئي، المعاملات

- أ- العقل لغة: العلم بصفات الأشياء من حسننها وقبحها، وفسّر الحمق بوضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه.
- ب- العقل بالمفهوم الإسلامي: هو ما يؤدي إلى طاعة الله وعبادته.
- ج - التطور العلمي ليس دليلاً على العقل إن لم يرافقه تطور روحي.
- د- موانع العقل: اتباع الشهوات كثرة الذنوب ترك جهاد النفس.
- هـ- ما ينمي العقل: بالإضافة إلى الابتعاد عما يمنع العقل من الرؤية، مجالسة العلماء والصالحين، قراءة القرآن والتفكير بآياته، الاستزادة من العلم الإلهي.
- و- القرآن الكريم: مدح في كثير من آياته العقل والتعقل، ولطالما كثر عبارة "أفلا تعقلون".
- ز- الأحاديث الشريفة: أكدت على أهمية العقل في الإنسان، وعلى دوره في فلاح الإنسان وسعادته في الحياة .

أسئلة حول الدرس

- ١- ما معنى العقل لغة، وبالمفهوم الإسلامي؟
- ٢- التطور العلمي هل يدل على العقل؟
- ٣- ما هي موانع العقل؟
- ٤- اعطِ مثلاً عن أمة متبعة للشهوات؟
- ٥- أذكر آية قرآنية تحث على التعقل؟
- ٦- أذكر حديثاً في العقل والتعقل؟

للحفظ

قال تعالى: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون"^{٣٤}.
عن أبي عبد الله عليه السلام: "لا يفلح من لا يعقل"^{٣٥}.

٣٤- ج ٢، ص ٨٤، ط ١٩٩٩، الدار الإسلامية.

٣٥- إبراهيم: ١٠.

في التفكير في المصنوع

يقول الإمام الخميني: ومن مراتب التفكير، التفكير في روائع الصنع واتقانه ودقائق الخلق، بما يتناسب وقدرة الإنسان من طاقة للتفكير. ونتيجة هذا التفكير هي معرفة المبدأ الكامل والصانع الحكيم...

وملخص الكلام، أن التفكير في لطائف الصنعة ودقائقها وفي اتقان نظام الخليقة، من العلوم النافعة، ومن أفضل الأعمال القلبية، وخير من جميع العبادات، لأن نتيجته أشرف نتيجة...

وعلى أي حال أن الإطلاع على لطائف الصنعة وأسرار الخليقة بحسب الحقيقة والواقع لم يتيسر للبشر، حتى الآن.

إن أساس الخليقة ونظامها يكون من الدقة والاستحكام ومن الجمال والكمال في مستوى لو أن الإنسان أمعن النظر في أي كائن مهما كان حقيراً، مستخدماً كل علومه التي اكتسبها خلال قرون، لما استطاع أن يطلع على نسبة واحد بالألف، من ذلك، فكيف له أن يتمكن من إدراك النظام الكلي الجميل...

إننا سنلقت انتباهك إلى إحدى دقائق الخلق...

أيها العزيز، انظر وتأمل في العلاقة بين هذه الشمس والأرض. وفي المسافة المعينة بين الشمس والأرض، وحركة الأرض حول نفسها وحول الشمس. تلك الحركة التي تكون على مدار محدد فيحصل منها الليل والنهار والفصول. فما أتقنه من صنع وما أكملها من حكمة.

ولولا هذا التنظيم، أي لو كانت الشمس أقرب أو أبعد، لما تكون في الأرض في الحالة الأولى من الحر، وفي الحالة الثانية من البرد معدن، ونبات، وحيوان. كذلك لو توقفت الأرض عن الحركة، على ما هي عليه من البعد عن الشمس لما كان الليل أو النهار، ولا كانت الفصول، ولما تكونت الأرض نهائياً أو القسم الأكبر منها...

فهل بعد هذا التفكير يحتاج عقلك إلى دليل آخر ليذعن بأن كائناً عالمياً حكيماً، لا

يشبه الكائنات الأخرى، هو الذي أوجد هذه الكائنات بكل حكمة ونظام وترتيب واتقان؟

"أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" ٣٦.

إن كل هذا الخلق المتقن الذي يعجز عقل الإنسان عن فهمه، لم يظهر عبثاً وتلقائياً فلتعم عين القلب التي لا ترى الله، ولا تشاهد جمال جميله في هذه المخلوقات. ولیمحق الذي يبقی فی الشك والتردد بعد كل هذه الايات والاثار، ولكن ما الذي يستطيع هذا الإنسان المسكين عمله بالأوهام؟

لو أنك عرضت مسبحتك وزعمت أن حباتها قد انتظمت تلقائياً من دون أن ينظمها منظم، لاستهزأت بك البشرية.

والأدهى من ذلك أنك لو أخرجت ساعتك من جيبيك وزعمت نفس الزعم نفسه أيضاً بالنسبة إليها، ألا يخرجونك من زمرة العقلاء؟ وألا يرميك كل عقلاء العالم بالجنون؟ فإذا وصف الذي يُخرج نظام هذه الساعة من قاعدة العلة والمعلول، بأنه مجنون ويجب أن يُحرم من حقوق العقلاء فما الوصف المناسب الذي يجب أن يوصف به من يزعم أن نظام هذا العالم، لا بل هذا الإنسان ونظام روحه وجسمه قد ظهر تلقائياً؟ هل يجب إبقاؤه في زمرة العقلاء؟ ترى أي بله أشد من هذا؟

"قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" ٣٧

٣٦- إبراهيم: ١٠

٣٧- عبس: ١٧. الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ١٩١ وما بعدها.

الدرس الرابع

اليقين

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "كفى باليقين غنى"^١.

تنقسم حالات الإنسان في الحكم على الأشياء إلى أنحاء:

الأول: الشك

وهو أن يستوي طرفا الحكم، فلا يُحكم بإيجاب أو سلب، فلا يترجح أحدهما على الآخر، كما لو قيل: "المريخ مسكون" وأنت لا تعرف هل هو مسكون حقيقة أم لا، فيستوي طرفا الحكم، أي بتعبير الأرقام لكل من الطرفين نسبة ٥٠٪.

الشك هذا في الأمور الاعتقادية التي تمثل مصير الإنسان ومستقبله غير مقبول إسلامياً، وهو خطير إذا لم يُزال من النفس والفكر، ويؤدي إلى مضاعفات خطيرة على سلوك الإنسان وروحه وسعادته.

انظر إلى القرآن الكريم كيف يصف الكافرين، الذين لم يحسموا أحد طرفي الحكم وبقوا في شك: "وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ"^٢، "إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ"^٣، "بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ"^٤.

الثاني: الظن

وهو أن يترجح أحد طرفي الحكم، ترجحاً ضعيفاً، أي بتعبير الأرقام أن تحكم على الشيء بنسبة ٦٠ أو ٧٠٪.

الظن هذا أيضاً ليس مقبولاً إسلامياً، في الأمور الاعتقادية الأساسية، مثل الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار.

يقول القرآن الكريم: "إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ"^٥، "وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً"^٦، "وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا"^٧.

١-بحار الأنوار، المجلسي، ج٧، ص١٧٦.

٢-هود: ١١٠.

٣-سبا: ٥٤.

٤-الدخان: ٩.

٥-النجم: ٢٣.

٦-النجم: ٢٨.

٧-يونس: ٣٦.

"إِنْ نَّظُلُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ" ^٨ إلى غير ذلك من الآيات التي لا تقيم وزناً للظن، والتي في بعضها إشارة إلى حالة الكافرين الفكرية الذين لا يظنون إلا ظناً ولا يحسمون الأمور ليصلوا إلى حالة العلم واليقين.

الثالث: اليقين

وهو الحكم على الأمور بنسبة ١٠٠%، فيترجح أحد طرفي الحكم، ترجحاً قوياً.

اليقين هذا هو المطلوب إسلامياً وخاصة في الأمور المصيرية، التي تحيب على أسئلة، من أين ، وكيف، وإلى أين؟ يقول القرآن الكريم: "وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" ^٩.

ويصف المتقين فيقول: "... وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ" ^{١٠}، "... وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ" ^{١١}، "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ" ^{١٢}.

وفي المقابل يصف كثيراً من الناس "أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ" ^{١٣} إلى غير ذلك من الآيات التي سيمر بعضها.

واليقين أعلى درجات الإيمان ودونه درجات، يقول أبو عبد الله عليه السلام: "... الإسلام درجة، ... والإيمان على الإسلام درجة، ... والتقوى على الإيمان درجة، ... واليقين على التقوى درجة، ... فما أوتي الناس أقل من اليقين، وإنما تمسكتكم بأدنى الإسلام فإياكم أن ينفلت من أيديكم" ^{١٤}.

فعلى الإنسان المؤمن أن يحاول جهده أن يصعد في الدرجات ولا يكتفي بدرجات الاعتقاد الأولية، لأنها إذا لم تقوى يخشى عليها من الزوال.

النبي إبراهيم عليه السلام نموذج مهم لنا في طلب المزيد من درجات الإيمان، يقول القرآن الكريم: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْمِئْ ثُمَّ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي...^{١٥}، "وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ" ^{١٦}.

وفي الحديث، عن صفوان، سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله لإبراهيم

٨- الجاثية: ٣٢.

٩- المائدة: ٥٠.

١٠- البقرة: ٤.

١١- النمل: ٣.

١٢- لقمان: ٤.

١٣- النمل: ٨٢.

١٤- ميزان الحكمة، الري شهري، ج ١٠، ص ٧٧٦، ح ٢٢٦٣٥.

١٥- البقرة: ٢٦٠.

١٦- الأنعام: ٧٥.

"أَوَلَمْ تُؤْمِن قَال بَلَى وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي" أَكُنْ فِي قَلْبِهِ شَكٌّ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لا، كَانَ عَلَى يَقِينٍ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ فِي يَقِينِهِ"^{١٧}.

وَلَقَدْ حَذَّرَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ "مَا أَخَافُ عَلَى أَمْتِي إِلَّا ضَعْفَ الْيَقِينِ"^{١٨}.

بَيْنَ الْيَقِينِ الْعَقْلِيِّ وَالْقَلْبِيِّ:

هَنَا نُوذُّ الْإِشَارَةَ إِلَى أَمْرٍ مَهْمٌ وَهُوَ أَنَّهُ صَحِيحٌ أَنَّ الْيَقِينَ الْعَقْلِيَّ مَطْلُوبٌ، وَلَكِنْ هَنَا سَوْأَلٌ، لِمَاذَا نَرَى أَنَسَاءً يَقُولُونَ إِنَّنَا مُوقِنُونَ بِاللَّهِ وَبِالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّهُمْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ نَرَاهُمْ ضَعْفَاءَ فِي عَمَلِهِمْ وَالتَّزَامِهِمْ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ؟

نَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الْيَقِينِ الْقَلْبِيِّ وَالْعَقْلِيِّ، فَانْظُرْ إِلَى إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ كَانَ مُوقِنًا بِاللَّهِ عَقْلًا وَلَكِنْ لَمْ يَتَرَسَّخْ يَقِينُهُ فِي قَلْبِهِ.

يَقُولُ الْإِمَامُ الْخَمِينِي قُدَسَ سِرُّهُ: "إِنَّ الْاِعْتِقَادَ وَالْعِلْمَ مَغَايِرَ لِلْإِيمَانِ، فَالْعِلْمُ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَسَائِرُ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي يَوْجَدُ فِيْنَا، مَغَايِرَ لِلْإِيمَانِ وَلَيْسَ بِإِيمَانٍ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ كَمَا يَشْهَدُ لَهُ الْذَاتُ الْمُقَدَّسَةُ عَالَمٌ بِالْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ لِأَنَّهُ يَقُولُ: "خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"، فَهُوَ إِذَا اعْتَرَفَ بِالْحَقِّ تَعَالَى وَخَالِقِيَّتِهِ، وَيَقُولُ أَيْضًا: "انْظُرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ". فَيَعْتَقِدُ بِالْمَعَادِ وَهُوَ كَذَلِكَ عَالَمٌ بِالْكَتَبِ وَالرُّسُلِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ خَاطَبَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِلَفْظِ الْكَافِرِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ زِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَإِذَا يَمْتَنَزُ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَهْلًا لِلْإِيمَانِ، فَيُلْزَمُ لِلْسَّالِكِ أَنْ يَدْخُلَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ سُلُوكِهِ الْعِلْمِيِّ، وَيُوصَلَ إِلَى قَلْبِهِ عِظَمَةُ الْحَقِّ وَجَلَالُهُ وَبَهَاءُهُ... وَإِلَّا فَمَجْرَدُ الْعِلْمِ لَا يَوْجِبُ خَشُوعًا كَمَا تَرَوْنَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ مَعَ كَوْنِكُمْ مُعْتَقِدِينَ بِالْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ، وَمَعَ اِعْتِقَادِكُمْ بِعِظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ لَيْسَتْ قُلُوبُكُمْ خَاشِعَةً...^{١٩}.

١٧- مِيزَانُ الْحِكْمَةِ، الرَّيِّ شَهْرِي، ج ١٠، ص ٧٩٠، ح ٢٢٧٢٥.

١٨- ن. م، ص ٧٨٥، ح ٢٢٦٨٣.

١٩- الْآدَابُ الْمَعْنَوِيَّةُ لِلصَّلَاةِ، الْإِمَامُ الْخَمِينِي، ص ٤١، ط ١٩٨٦ م، مَوْسُئَةُ الْأَعْلَمِيَّةِ.

فإذن المطلوب أن ينزل العلم واليقين العقلي إلى منطقة القلب حتى يؤثر اليقين أثره في نفس وسلوك الإنسان.

وقد فرق بعض العلماء بين الإيمان العقلي والقلبي بمثال معبر، حيث مثّلوا لذلك بالإنسان الذي ينام مع ميت في غرفة لوحدهما، فقالوا: إن الإنسان يعلم يقيناً أن الميت لا يؤدي، ولكن يخاف أن ينام معه منفرداً، وما ذلك إلا لأن اليقين العقلي بعدم أذية الميت له، لم ينزل إلى القلب.

أهمية اليقين وثمراته:

الأحاديث كثيرة في أهميّة اليقين تأتي على بعضها:

١- رأس وعماد الدين والإيمان كله:

عن الإمام علي عليه السلام: "اليقين رأس الدين" ^{٢٠}.

وعنه عليه السلام: "اليقين عماد الإيمان" ^{٢١}.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله" ^{٢٢}.

٢- اليقين والعبادة: عن الإمام علي عليه السلام: "باليقين تتم العبادة" ^{٢٣}.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا عمل إلا بنية، ولا عبادة إلا بيقين" ^{٢٤}.

٣- قوّة القلب باليقين: عن الإمام علي عليه السلام: "أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين" ^{٢٥}.

٤ - اليقين فلاح ونجاة وصلاح: عن الإمام علي عليه السلام: "من أيقن أفلح" ^{٢٦}.

وعنه عليه السلام: "من أيقن ينجو" ^{٢٧}. وعنه عليه السلام: "أيقن تصلح" ^{٢٨}.

٢٠- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ١، ص ٧٧٤، ح ٢٢٦١٢.

٢١- م. ن. م، ص ٧٧٤، ح ٢٢٦١٩.

٢٢- م. ن. م، ص ٧٧٤، ح ٢٢٦٢٢.

٢٣- م. ن. م، ص ٧٧٥، ح ٢٢٦٢٩.

٢٤- م. ن. م، ص ٧٧٦، ح ٢٢٦٣١.

٢٥- م. ن. م، ص ٧٧٣، ح ٢٢٦٠٩.

٢٦- م. ن. م، ص ٧٧٣، ح ٢٢٦٠٦.

٢٧- م. ن. م، ص ٧٧٣، ح ٢٢٦٠٧، ٢٨.

٢٨- م. ن. م، ص ٧٧٣، ح ٢٢٦٠٨.

٥ - اليقين سعادة: عن الإمام علي عليه السلام: "ما أعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين" ٢٩.

٦ - الصبر: عن الإمام علي عليه السلام: "الصبر ثمرة اليقين" ٣٠.

٧ - الإخلاص: عن الإمام علي عليه السلام: "إخلاص العلم من قوة اليقين" ٣١.

٨ - الزهد: عن الإمام علي عليه السلام: "اليقين يثمر الزهد" ٣٢.

٩ - التوكل: عن الإمام علي عليه السلام: "التوكل من قوة اليقين" ٣٣.

١٠ - الرضا: عن الإمام علي عليه السلام: "بالرضا بقضاء الله يستدل على حسن اليقين" ٣٤.

١١ - تهاون المصائب: من وصايا أمير المؤمنين لابنه الإمام الحسن عليه السلام: "اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين" ٣٥.

١٢ - الهداية: عن الإمام علي عليه السلام: "هذى من ادرع لباس الصبر واليقين" ٣٦.

ما يساعد على تحصيل اليقين:

١ - عدم تعطيل العقل:

...إنماؤه بالتفكير والاعتبار والعلم، يقول الإمام علي عليه السلام: "الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد... واليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين،..." ٣٧.

٢٩ - ن.م، ص ٧٧٣، ح ٢٢٦٠٣.

٣٠ - ن.م، ص ٧٨٦، ح ٢٢٦٩١.

٣١ - ن.م، ص ٧٨٧، ح ٢٢٦٩٨.

٣٢ - ن.م، ص ٧٨٧، ح ٢٢٧٠٢.

٣٣ - ن.م، ص ٧٨٧، ح ٢٢٧١١.

٣٤ - ن.م، ص ٧٨٨، ح ٢٢٧١٣.

٣٥ - ن.م، ص ٧٨٨، ح ٢٢٧١٨.

٣٦ - ن.م، ص ٣٢٨، ح ٢٠٨٤١.

٣٧ - ن.م، ص ٧٨٩، ح ٢٢٧٢٠.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: "اليقين على أربع شعب: على غاية الفهم، وغمرة العلم، وزهرة الحكم، وروضة الحلم، فمن فهم فسّر مجمل العلم، ومن فسّر مجمل العلم عرف شرائع الحكم..."^{٣٨}.

٢- انكار المنكر الجهاد:

عن الإمام علي عليه السلام: "... ومن أنكره المنكر بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، ذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريقة ونور في قلبه اليقين"^{٣٩}.

٣- صلاح النفس:

عن الإمام الكاظم عليه السلام: "تعاهدوا عباد الله بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً، وتربحوا نفيساً ثميناً"^{٤٠}.

موانع اليقين:

١ - غلبة الهوى والشهوات:

عن علي عليه السلام: "يفسد اليقين الشك وغلبة الهوى"^{٤١}.

٢- الحرص:

عن علي عليه السلام: "من كثر حرصه قلّ يقينه"^{٤٢}.

وعنه عليه السلام: "الحرص يفسد الإيقان"^{٤٣}.

٣- الصحبة الفاسدة:

عن علي عليه السلام: "خلطة أبناء الدنيا تشين الدين وتضعف اليقين"^{٤٤}.

٤ - سيطرة التقليد والعادة:

يقول الله في كتابه الكريم: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا"^{٤٥}.

٣٨- ن.م، ص ٧٨٩، ح ٢٢٧٢٢.

٣٩- ن.م، ص ٣٢٩، ح ٨٥٨.

٤٠- ن.م، ص ٧٩٠، ح ٢٢٧٢٤.

٤١- ن.م، ص ٧٨٤، ح ٢٢٦٧٣.

٤٢- ن.م، ص ٧٨٤، ح ٢٢٦٧٤.

٤٣- ن.م، ص ٧٨٤، ح ٢٢٦٧٦.

٤٤- ن.م، ص ٧٨٥، ح ٢٢٦٨١.

٤٥- لقمان: ٢١.

خاتمة:

إنكم إذا رجعتم إلى أنفسكم، عرفتم جيداً، مدى خطورة الشك والظن على النفس الإنسانية، حتى في الأمور الدنيوية. الشك والظن صعبٌ على النفس، فكيف بالأمور المصيرية، التي تجيب على أسئلة، من أين، وإلى أين؟

إنكم إن لم تتقوا يقينكم وإيمانكم بالمبدأ والمعاد، ستكون حياتكم صعبة قلق مضطربة، وآخرتكم أمرٌ وأدهى.

فكونوا كالنبي إبراهيم الذي طلب من الله اطمئنان الروح، أو كالإمام علي عليه السلام الذي قال: "لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً."

س: ما هو الطريق الصحيح الذي ينبغي للأخصائيين الملتزمين اتخاذه حول تعليم الآخرين في الجمهورية الإسلامية؟ ومن هم الذين يستحقون الحصول على المعلومات والعلوم التقنية الحساسة في الدوائر؟
ج: لا مانع من تعلم أي شخص لأي علم أراد إذا كان لغرض عقلائي مشروع ولم يكن له فيه خوف الفساد والافساد، إلا ما إذا كانت الدولة الإسلامية قد وضعت ضوابط ومقررات خاصة حول ما يجب تعليمه وتعلمه من العلوم والمعلومات.

س: أي التخصصات العلمية أصلح للإسلام والمسلمين هذه الأيام؟
ج: كل التخصصات العلمية المفيدة والتي يحتاجها المسلمون مما ينبغي أن يهتم بها العلماء والأساتذة والطلبة الجامعيون ليستغنوا بذلك عن الأجانب، لا سيما عن المعادين للإسلام والمسلمين.

س: ما هو حكم الاطلاع على كتب الضلال وكتب الديانات الأخرى لغرض التعرف على دينهم وعقائدهم للمعرفة وزيادة الاطلاع؟
ج: في جواز ذلك لمجرد التعرف وزيادة الاطلاع اشكال، نعم يجوز ذلك لمن يقدر على معرفة وتشخيص ما فيها من الضلال لغرض ابطاله والرد عليه إذا كان من أهله ويطمئن من نفسه بعدم انحرافه عن الحق.

س: ما هو حكم ادخال الأولاد في المدارس التي تُدرّس فيها بعض العقائد الفاسدة مع افتراض عدم تأثرهم بها؟
ج: إذا لم يكن فيه خوف على عقائدهم الدينية، ولا ترويج الباطل، وأمكنهم التجنب عن دراسة المطالب الباطلة الفاسدة المضلة فلا مانع منه^{٤٦}.

٤٦ - أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامني، المعاملات، ج ٢، ص ٨٦ ٨٥ ٨٤.

خلاصة الدرس

- أ- الحالات في فكر الإنسان في الحكم على الأشياء ثلاثة: الشك، الظن، اليقين.
- ب- المطلوب إسلامياً هو اليقين الذي يعني الحكم على الأمور بنسبة ١٠٠%، وعلى الإنسان المؤمن أن يرتقي في درجات الإيمان، كما طلب ذلك النبي إبراهيم عليه السلام ليصل إلى درجة الاطمئنان القلبي.
- ج- وهنا لفتة مهمة، حيث هناك فرق بين اليقين العقلي والقلبي، والمطلوب أن يصل الإنسان إلى اليقين القلبي، وإلا إبليس لم يُفدّه يقينه العقلي.
- د- لليقين ثمرات منها: أنه الإيمان كله، وتمام العبادّة، وقوّة للقلب، وفلاح ونجاة وصلاح وسعادة، ويساعد على الصبر.
- هـ- ما يساعد على تحصيل اليقين: عدم تعطيل العقل، التفكير، انكار المنكر، اصلاح النفس.
- و- موانع اليقين: غلبة الهوى والشهوات، الحرص، سيطرة التقليد والعادة.

أسئلة حول الدرس

- ١- ما هي حالات الحكم على الأشياء في فكر الإنسان؟
- ٢- ما هو اليقين، وهل الإيمان درجة واحدة؟
- ٣- هل المطلوب اليقين العقلي؟
- ٤- ما هي ثمرات اليقين؟
- ٥- ما الذي يساعد على اليقين؟
- ٦- ما هي موانع اليقين؟

للحفظ

قال الله تعالى: "ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون" ^{٤٧}.
عن الإمام علي عليه السلام: "الصبر ثمرة اليقين" ^{٤٨}.

٤٧-المائدة: ٥٠.

٤٨- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ١، ص ٧٨٦، ح ٢٢٦٩١.

في بيان أن العلم يغير الإيمان

يقول الإمام الخميني: "اعلم أن الإيمان غير العلم بالله ووحدانيته... والعلم بالملائكة والرسل والكتب ويوم القيامة. وما أكثر من يكون له هذا العلم ولكنه ليس بمؤمن. فالشيطان عالم بجميع هذه المراتب بقدر علمنا وعلمكم، ولكنه كافر، بل إن الإيمان عمل قلبي، وما لم يكن ذلك فليس هناك إيمان، فعلى الشخص الذي علم بشيء عن طريق الدليل العقلي أو ضروريات الدين، أن يسلم لذلك قلبه أيضاً، وأن يؤدي العمل القلبي الذي هو نحو من التسليم والخضوع، ونوع من التقبّل والاستسلام عليه أن يؤدي ذلك لكي يصبح مؤمناً، وكمال الإيمان هو الإطمئنان، فإذا قوي نور الإيمان تبعه حصول الإطمئنان في القلب، وجميع هذه الأمور هي غير العلم. فمن الممكن أن يدرك العقل بالدليل شيئاً لكن القلب لم يسلم بعد، فيكون العلم بلا فائدة. مثلاً أنتم تدركون بعقولكم أن الميت لا يستطيع أن يضرب أحداً، وأن جميع الأموات في العالم ليس لهم حس ولا حركة بقدر ذبابة، وأن جميع القوى الجسمانية والنفسانية قد فارقت، ولكن ولأن القلب لم يتقبل هذا الأمر ولم يسلم أمره للعقل، فإنكم لا تقدرون على أن تبيتوا ليلة مظلمة واحدة مع ميت!

وأما إذا سلّم القلب أمره للعقل، وتقبّل هذا الحكم منه، فلن يكون في هذا العمل أي المبيت مع الميت أي إشكال بالنسبة إليكم، كما أنه وبعد عدّة مرّات من الإقدام، يصبح القلب مسلماً، فلن يبقى عنده بعدها بأس أو خوف من الميت، إذ أصبح معلوماً أن التسليم وهو من حظ القلب غير العلم وهو من حظ العقل.

من الممكن أن يبرهن إنسان بالدليل العقلي، على وجود الخالق تعالى والتوحيد والمعاد وباقي العقائد الحقّة، ولكن هذه العقائد لا تسمى إيماناً، ولا تجعل الإنسان مؤمناً...

فما لم تكتب عبارة "لا إله إلا الله" بقلم العقل على لوح القلب الصافي لن يكون الإنسان مؤمناً بوحداية الله.

وعندما ترد هذه العبارة النورانية الإلهية على القلب، تصبح سلطة القلب لذات الحق تعالى، فلا يعرف الإنسان بعدها شخصاً آخر مؤثراً في مملكة الحق، ولا يتوقع من شخص آخر جاهلاً ولا جاللاً، ولا يبحث عن المنزلة والشهرة عند الآخرين.

ولا يصبح القلب مرئياً ولا مخادعاً حينئذ. وإذا رأيتم رياء في قلوبكم، فاعلموا أن قلوبكم لم تسلم للعقل، وأن الإيمان لم يقذف نوره فيها، وأنكم تعدون شخصاً آخر إلهاً ومؤثراً في هذا العالم، لا الحق تعالى، وأنكم في زمرة المنافقين أو المشركين أو الكفار" ^{٤٩}.

٤٩ - ميزان الحكمة، الري شهري، مج ١، ص ٧٨٦، ح ٢٢٦٩١.

القرآن

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "القرآن غنى ولا غنى دونه ولا فقر بعده"^١.

ضرورة التشريع

إنّ لمن الضروري لكلّ أمة لكي تنهض وتتقدّم أن يكون لها قانون ونظام وتشريع تعتمد عليه في حياتها الفردية والاجتماعية...

فالتشريع ينظّم لأيّ أمة شؤونها الدينية حتى لا يصبح هناك فوضى، وحتى لا يكون لكلّ إنسان قانونه الخاص، ونهجه المتفرد، فيتبع كلّ إنسان هواه وميله وما يشتهي، فحينئذ يصبح النظام فوضى، والشرعية شهوات، والقانون أنانيّة ومصالح ضيقة.

القانون والتشريع متناسقان مع التقدّم والحضارة، فإذا فقد القانون والتشريع فقدت الحضارة، هذه حقيقة يثبتها الوجدان، وتجارب الأمم عبر التاريخ.

فما من أمة خلت من تشريع أو نظام أو تفلتت منهما ولم تطبقهما إلا وكان مصيرها الفساد والموت والاندحار.

إنّ الإنسان يختلف عن الحيوان في أن لديه تشريعاً وقانوناً يسير عليه، أو بالأحرى: إنه قابل لأن يسير على النظام والشرعية لو أراد، لأنه يملك العقل والإرادة، بخلاف الحيوان الذي لا يملكهما.

إننا إذا نظرنا إلى التاريخ نجد أنه حتى الإنسان القديم البدائي هو أيضاً لديه شريعة على قدر مستواه من الرقي والتمدّن، فهو يتبع تراث قبيلته، وما تراث القبيلة إلا مجموعة أنظمة وعادات وشرائع.

يقول "ألفرد رسل ولاس": "لقد عشت مع جماعات الهمج في أمريكا الجنوبية وفي الشرق، ولم أجد بينهم قانوناً ولا محاكم سوى الرأي العام الذي يعبر عنه أهل القرية

١ - وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٦، ص ١٦٨.

تعبيراً حُرّاً، فكلّ إنسان يحترم حقوق زملائه احتراماً دقيقاً، فالاعتداء على هذه الحقوق يندر وقوعه أو يستحيل، إن الناس جميعاً في مثل هذه الجماعة متساوون تقريباً^٢.

فأنت ترى في هذه القبيلة أنه لا يوجد لديها قانون مكتوب ولكن في النتيجة لديهم عرف وعادات متبعة وهي بمثابة تشريع ولو كان بدائياً.

وتجدر الإشارة إلى الفارق بين التقاليد والأعراف والعادات وبين القانون والتشريع والنظام، فالأولى وإن كانت تعطي شيئاً من الاستقرار والنظام إلا أنها ضرورية لمرحلة من عمر الإنسانية على الأرض، إنها تصلح لمجتمعات ضيقة بدائية، وكلّما تطوّر الإنسان واتسعت المجتمعات وتعمّدت علاقاتها كلما احتاج الأمر إلى القانون والتشريع، ولا تكفي التقاليد في السير به نحو الأمام.

وإذا أضيف إلى القانون والتشريع مشرّع غير إنساني، أي كان إلهياً سماوياً، كان لهما أي للقانون والتشريع قوّة أكبر في التأثير على الإنسان.

فشتان بين التشريع الإنساني المحكوم لنقصه وضعفه، لعدم معرفته بكلّ ما يصلحه وما يفسده، ولكونه يتبع هواه ومصالحه، وبين التشريع الإلهي الكامل باعتبار أن خالق الإنسان أعرف به وبأمراضه ومشاكله وكيفية علاجها.

خذوا مثلاً: الإنسان الجاهلي عندما كان يُقتل أحد أقربائه، فيقول: إنّ الثأر ثأري وسأردّ عن نفسي ما لحق بي، فيقتل دون حسيب أو رقيب، ولا يكتفي بقتل القاتل وإنما لو ترك وقدرته لقتل عشيرة القاتل بأجمعها!

هذا مثال واحد على ذلك، وإذا أردنا أن نكثر من الأمثلة لطلال بنا المقام.

القانون الإنساني الوضعي ينظر إلى الأرض فقط وإلى جسد الإنسان ويغفل طاقاته الأخرى، بينما القانون الإلهي القرآن الكريم ينظر إلى الأرض وإلى السماء، إلى الدنيا وإلى الآخرة، إلى الجسم وإلى الروح، ينظر إلى ابن آدم بكلّه لا لجهة واحدة من جهاته.

٢- قصة الحضارة، ول ديورانت، مج ٢٠١، ج ١، ص ٤٨، دار الجيل.

القرآن الكريم القانون الإسلامي الدائم

القرآن الكريم أنزله الله مهيمناً على الكتب التي سبقتة التوراة والإنجيل وهو خاتم الكتب كما أن الإسلام خاتم الديانات؛ جاء القرآن ليكمل وليصحح الانحرافات والتحريفات التي اعترت التوراة والإنجيل.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: "أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا..."^٣.

وما يشير إلى تحريف كلام الله من أهل الكتاب "مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"، "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ"^٤، "قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ"^٥.

وهناك بحوث عديدة وكتب كثيرة تبحث في تحريفات التوراة العهد القديم والإنجيل العهد الجديد ولا نريد أن ندخل في تفاصيل ذلك.

فقط نشير إلى مسألة تاريخية اجتماعية يتبين لنا من خلالها فشل العهد الجديد والمسيحية الكنسية بالتالي في إصلاح المجتمعات التي تدعي اتباعها للمسيح عليه السلام.

من المعروف تاريخياً أن المسيحية دخلت إلى الدولة الرومية في سنة ٣٠٦ م، ولم تستطع المسيحية بإنجيلها المحرف أن تغير من سيرة الروم المنحطة وأن تبعث فيهم حياة جديدة، حياة دينية نقية طاهرة... بل إنها فشلت فشلاً ذريعاً... واليوم المجتمع الغربي الذي هو في الحقيقة وارث الدولة اليونانية والرومية نسخة صادقة وصورة طبق الأصل عن اليونان والرومان في انحرافاتها.

فلم تستطع المسيحية وفشلت في إصلاح الغربيين، ومفاسدُهم معروفة ومشهورة.

يقول محمد أسد الأستاذ الألماني المهتدي في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق": "لا شك أنه لا يزال في الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب ديني... ولكنهم شواذ، إن الرجل العادي في أوروبا... إنما يعرف ديناً واحداً، وهو عبادة الرقي المادي

٣-المائدة:٤٨.

٤-النساء:٤٦.

٥-المائدة:١٣.

٦- البقرة:٧٥.

والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة غير أن يجعلها الإنسان أسهل... أمّا كنائس هذا الدين فهي المصانع الضخمة ودور السينما... ودور الرقص... وأما كهنتهم فهم رؤساء الصيارف... والممثلات وكواكب السينما وأقطاب التجارة... ونتيجة هذه النهضة للقوة والشدة للذة، النتيجة اللازمة ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح، والاستعدادات الحربية، مستعدة لإبادة بعضها بعضاً إذا تصادمت أهواءها ومصالحها، أما في جانب الحضارة فنتيجتها ظهور طراز للإنسان يعتقد الفضيلة في الفائدة العملية والمثل الكامل عنده والفارق بين الخير والشر هو النجاح المادي لا غير^٧.

أما اليهود فإنهم أفسد خلق الله، والمراجع لتوراتهم المخرفة يرى فيها البلايا والتعاليم العنصرية الشاذة، فاليهود نسخة عن توراتهم المخرفة، والإناء بالذي فيه ينضح.

أما القرآن الكريم فهل حقاً هو المهيمن على الكتب التي قبله؟ وهل استطاع تغيير أمة؟ يقول ول ديورانت: "وقد ظلّ القرآن أربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرتهم المسلمين، يستثير خيالهم، ويشكّل أخلاقهم، ويشدّ قرائح مئات الملايين من الرجال. والقرآن يبعث في النفوس... أسهل العقائد، وأبعدها عن التقيّد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية. وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحضّمهم على اتباع القواعد الصحية، وحرّر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسن أحوال الأرقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين إذا استثنينا ما كان يقترفه بعض الخلفاء المتأخرين درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض..."^٨.

هذه شهادة للقرآن الكريم من أحد الغربيين، وهو مؤرخ كبير معروف، أليس في شهادته دلالة على غنى القرآن وعظمته؟

أليس في شهادته دلالة على مدى تأثير القرآن وفاعليته؟

٧- ماذا خسّر العالم بخطاط المسلمين، أنبو الحسن الندوي، ص ٢٠٠ ١٩٩٠.

٨- قصة الحضارة، ول ديورانت، مج ١٤، ج ١٣، ص ٦٩.

القرآن بين الأمس واليوم

لقد كان المسلمون الأوائل يثقون بقراهم ويلتزمون بتعاليمه بكل قوة، لذلك كانوا أقوياء أعزاء، ومثال على قوة التزامهم بالشرعة القرآنية:

يقول أنس بن مالك: "بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة، وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن بيضاء، حتى مالت رؤوسهم من الخمر، إذا سمعت منادياً ينادي: ألا إنَّ الخمر قد حرِّمت، قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال، وتوضأ بعضنا، واغتسل بعضنا، وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد"^٩.

وعن أبي بريدة عن أبيه قال: "بينما نحن قعود على تراب لنا ونحن نشرب الخمر، إذا قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلم عليه، وقد نزل تحريم الخمر، فجئت أصحابي فقرأت الآية عليهم إلى قوله "فهل أنتم منتهون" قال: "وبعض القوم شرهته في يده شرب بعضاً وبقي بعض في الإناء، فأراقوا ما في كؤوسهم. ثم صبوا ما في باطيتهم: وقالوا انتهينا ربنا"^{١٠}.

والأمثلة كثيرة على ذلك.

هذا هو المجتمع الإسلامي الأول، إنه مفعم بالإيمان بشريعته القرآنية، يلتزم بشدة وبسرعة وبلا جهد سوى أن أمر الله قد نزل، فلا حاجة للدعاية والنشر والكتب والخطب.

يقال أن حكومة أمريكا منعت الخمر، وطاردتها في بلادها واستعملت جميع الوسائل كالمجلات والجرائد والمحاضرات والصور والسينما لبيان مضارها ومنافعها، ويقدر أن أنفقت الدولة في الدعاية ضد الخمر بملايين الدولارات، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة، وما تحمّلت في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاماً لا يقل عن ٢٥٠ مليون جنيه وقد أعدم فيها ٣٠٠ شخص، وسجن ٥٣٢٣٣٥ شخص، وبلغت الغرامات ١٦ مليون جنيه، وصادرت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين جنيه، ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراماً بالخمر

٩- تفسير ابن كثير، مج ٣، ص ٢٨٤.

١٠- تفسير ابن كثير، مج ٣، ص ٢٨٤.

وعناداً في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣م إلى سحب القانون وإباحة الخمر في مملكتها مطلقاً^{١١}.

قارنوا بين الأمة الإسلامية الأولى والأمة الأمريكية الحديثة، تجدون الفرق الهائل بين الأمتين، أمة سهلة الطاعة، وأخرى مستعصية على الحل، الأولى كفاها قول: "فهل أنتم منتهون"، والثانية لم يكفها ١٠ بلايين صفحة تدعو إلى الانتهاء عن شرب الخمر!

والمؤسف أن مجتمعا الإسلامي الحديث، غير ملتزم بالشريعة القرآنية الالتزام المطلوب، لذلك انهزم هذا المجتمع وتفرّق وضعف.

فهل أمتنا الإسلامية الحديثة تريد أن تكون كرائدة العصر كما يقولون، أم أها ستقتدي بالمسلمين الأوائل؟

إن العالم الغربي يتخذ من ضعف المسلمين وفشلهم في الحياة السياسية والاقتصادية وغير ذلك دليلاً على عدم صلاح الشريعة القرآنية لقيادة العالم فضلاً عن قيادة المسلمين.

والحقيقة هي: أن ضعف المسلمين اليوم وفشلهم إنما هو لعدم التزامهم وتسليمهم للشريعة والقانون القرآني، فالضعف والفقر ليس في القرآن، إنما في المسلمين غير المسلمين للقرآن.

فإذا أراد المسلمون مجتمعاً وأفراداً الغنى فما عليهم إلا أن يسلموا ويثقوا بقرآنهم، ولا يهجروه، بذلك فقط، يصبحون أغنياء في فكرهم وروحهم وأخلاقهم وحياتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

القرآن في القرآن نماذج:

•أوصاف القرآن:

...""وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ"، "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ"، "تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ"، "وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ""^{١٢}.

١١- ماذ خسر العالم بخطا المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ٩١ في الحاشية.

١٢- الحجر: ٨٧ . الواقعة: ٧٧ . النمل: ١ . يس: ٢.

• غاية القرآن:

"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ١٣، "... قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" ١٤، "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ" ١٥، "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ" ١٦.

• كيف نتعامل مع القرآن؟

"أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" ١٧، "فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ" ١٨، "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" ١٩، "وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا" ٢٠.

القرآن لمن؟

"كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" ٢١.

التحدي بالقرآن: "قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ" ٢٢.

حفظ القرآن من التحريف: "وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ" ٢٣، "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" ٢٤.

القرآن في الحديث نماذج

• القرآن في كل زمان جديد:

عن الإمام الرضا عن أبيه عليهما السلام: "إِنَّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: لأن الله تبارك تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غرض إلى يوم القيامة" ٢٥.

١٣- يوسف: ٢.

١٤- الزمر: ٢٨.

١٥- البقرة: ١٨٥.

١٦- الإسراء: ٨٢.

١٧- محمد: ٢٤.

١٨- المزمل: ٢٠.

١٩- الأعراف: ٢٠٤.

٢٠- الفرقان: ٣٠.

٢١- فصلت: ٣.

٢٢- الإسراء: ٨٨.

٢٣- يونس: ٣٧.

٢٤- الحجر: ٩.

٢٥- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ٨، ص ٧٠، ح ١٦١٣٥.

•اعملوا بالقرآن:

عن الإمام علي عليه السلام: "اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ"^{٢٦}.

•العمل بالقرآن خروج من الفتنة:

عن الحارث الأعور قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين إنا إذا كنا عندك سمعنا الذي نسدّ به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة، لا ندري ما هي؟ قال: أو قد فعلوها؟ قال: قلت: نعم.

قال عليه السلام: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أتاني جبرائيل فقال: يا محمد سيكون في أمّتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم"^{٢٧}.

•شفاء من أكبر الداء:

عن الإمام علي عليه السلام: "إنّ فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغبي والضلال"^{٢٨}.

•كيف نتعامل مع القرآن؟

عن الإمام الصادق عليه السلام: "ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلّم القرآن، أو أن يكون في تعلّمه"^{٢٩}.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من علّم رجلاً القرآن فهو مولاه لا يخذله ولا يستأثر عليه"^{٣٠}.

عن الإمام الصادق عليه السلام: "الحافظ للقرآن، العامل به، مع السّفرة الكرام البرّة"^{٣١}.

عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا أحبّ أحدكم أن يحدث ربّه فليقرأ القرآن"^{٣٢}.

•القرآن إمامنا وقائدنا:

عن الإمام علي عليه السلام: "عليكم بالقرآن فاتّخذوه إماماً قائداً"^{٣٣}.

خاتمة:

لنجعل القرآن إمامنا وقائدنا، فيه هدايتنا، وشفائنا، وزيادة عقلنا وعلمنا، ولا نقرؤه للقراءة فحسب، بل للعمل به، حتى يكون لنا ميزان أعمالنا، ونوراً نمشي به في الناس.

٢٦- ن.م، ص٦٧، ح١٦١٢١.

٢٧- ن.م، ص٦٦، ح١٦١١٠.

٢٨- ن.م، ص٧١، ح١٦١٣٧.

٢٩- ن.م، ص٧٣، ح١٦١٥١.

٣٠- ن.م، ص٧٥، ح١٦١٦٥.

٣١- ن.م، ص٧٦، ح١٦١٧٥.

٣٢- ن.م، ص٨١، ح١٦١٩٧.

٣٣- ن.م، ص٦٨، ح١٦١٢٥.

س: هل يصدق على القراءة القلبية في الصلاة أي ترديد الكلمات في القلب دون التلفظ بها أنها قراءة أم لا؟

ج : لا يصدق عليها عنوان القراءة، ولا يجري في الصلاة إلا التلفظ بها بحيث يصدق عليها القراءة.

س: طبقاً لرأي بعض المفسرين فإن عدداً من سور القرآن الكريم، كسورة الفيل وقريش، والانشراح والضحي، لا تعد سورة واحدة كاملة، وهم يقولون: إن من يقرأ إحدى هذه السور مثل سورة الفيل فيجب عليه بصورة حتمية أن يقرأ بعدها سورة قريش، وكذلك بالنسبة لسورتي الانشراح والضحي اللتين يجب أن تقرأ معاً، فلو أن شخصاً قرأ سورة الفيل وحدها، أو سورة الانشراح وحدها في الصلاة، وهو جاهل بهذه المسألة، فما هي وظيفته؟

ج : الصلوات الماضية التي أكتفي فيها بسورة واحدة من سورتي الفيل والإيلاف، أو سورتي الضحي وألم نشرح محكمة بالصحة إذا كان جاهلاً بهذه المسألة.

س: إذا غفل شخص في أثناء الصلاة فقرأ مثلاً في الركعة الثالثة من صلاة الظهر الحمد والسورة، ثم انتبه إلى ذلك بعد الفراغ من الصلاة، فهل تجب عليه الإعادة؟ وإذا لم ينتبه، فهل صلاته صحيحة أم لا؟

ج : تصح صلاته في مفروض السؤال ولا شيء عليه^{٣٤}.

٣٤ - أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامنئي، العبادات ج ١، ص ١٤١.

خلاصة الدرس

- أ- التشريع ضرورة لكل أمة تريد التطور والتقدم، والتشريع الإلهي هو الضمانة لاستقامة الإنسانية.
- ب- القرآن الكريم هو قانون وتشريع دائم، وكان له التأثير الكبير ولا يزال على الأمة الإسلامية، في تقدمها ورفقيها، بخلاف الإنجيل والتوراة المخرفين اللذين لم يستطيعا اصلاح اتباعهما.
- ج- المسلمون في عصرنا ابتعدوا عن كثير من أحكام القرآن ولذلك تراجع دورهم وقوتهم، بخلاف المسلمين الأوائل حيث كانوا شديدي التمسك بالقرآن.
- د- القرآن في القرآن: لقد وصف القرآن نفسه بالعظيم والكريم والحكيم والمبين، وذكر أن غاية القرآن لكي يهتدي الناس ويعقلون ويتقون وليكون شفاء لهم، وأمر القرآن بتدبره وقراءته، وأكد على أنه محفوظ من التحريف، ولقد تحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله.
- هـ- القرآن في الحديث: القرآن في كل زمان جديد، اعملوا بالقرآن، فالعمل به خروج من الفتنة، وشفاء، وتعلموه وعلموه واحفظوه وقرأوه، وهو الإمام والقائد.

أسئلة حول الدرس

- ١- هل من الضروري أن يكون للناس تشريع، وما هي ميّزة التشريع الإلهي؟
- ٢- ما هو الفرق بين القرآن الكريم والإنجيل والتوراة المخرفين؟
- ٣- ما هو الفرق بين المسلمين اليوم والمسلمين الأوائل في التعامل مع القرآن؟
- ٤- اذكر بعض الآيات التي وردت في القرآن، بخصوصه، وعنوانها؟
- ٥- اذكر بعض الروايات التي وردت في الأحاديث، بخصوص القرآن، وعنوانها؟

للحفظ

قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"^{٣٥}.
عن الإمام علي عليه السلام: "اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ"^{٣٦}.

٣٥- الحجر: ٩.

٣٦- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ٨، ص ٦٧، ح ١٦١٢١.

العلوم التي يدعو القرآن إلى تعلمها

يدعو القرآن الكريم في كثير من آياته^{٣٧} إلى التفكير في الآيات السماوية والنجوم المضيئة والاختلافات العجيبة في أوضاعها والنظام المتقن الذي تسير عليه.

ويدعو إلى التفكير في خلق الأرض والبحار والجبال والأودية وما في بطون الأرض من العجائب واختلاف الليل والنهار وتبدل الفصول السنوية.

ويدعو إلى التفكير في عجائب النبات والنظام الذي يسير عليه وفي خلق الحيوانات وآثارها وما يظهر منها في الحياة.

ويدعو إلى التفكير في خلق الإنسان نفسه والأسرار المودعة فيه، بل يدعو إلى التفكير في النفس وأسرارها الباطنية وارتباطها بالملكوت الأعلى. كما يدعو إلى السير في أقطار الأرض والتفكير في آثار الماضي والفحص في أحوال الشعوب والجوامع البشرية وما كان لهم من القصص والتواريخ والعبر. بهذا الشكل الخاص يدعو إلى تعلم العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والأدبية وسائر العلوم التي يمكن أن يصل إليها الفكر الإنساني. يحث على تعلمها لنفع الإنسانية واسعاد القوافل البشرية.

نعم يدعو القرآن إلى هذه العلوم شريطة أن تكون سبيلاً لمعرفة الحق والحقيقة ومرآة لمعرفة الكون التي في مقدمتها معرفة الله تعالى.

وأما العلم الذي يشغل الإنسان عن الحق والحقيقة فهو في قاموس القرآن مرادف للجهل، قال تعالى: "يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ"^{٣٨}. وقال: "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ"^{٣٩}.

القرآن الكريم بترغيبه إلى تعلم مختلف العلوم، يعلم دورة كاملة من المعارف الإلهية وكليات الأخلاق والفقه الإسلامي^{٤٠}.

٣٧- لم نقلها هنا لوفرتها.

٣٨- الروم: ٧.

٣٩- الجاثية: ٢٣.

٤٠- القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي، ص ١١٣ ١١٢، دار الزهراء، ط ١٩٧٨ م.

العبادة

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "في التوراة مكتوب: يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى"^١.

العبادة في اللغة تعني: الخضوع، والانقياد، والطاعة، "عبد ربه يعبد عبادة وعبودية: خضع له وانقاد لأوامره، والعبادة الطاعة لله..."^٢.

وقد أخذت العبادة معنى أضيق في الفقه الإسلامي، وهي تعني في مفهوم الفقه مجموعة شعائر يقوم بها العبد، مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس.

إلا أن المعنى اللغوي يعني أشمل من هذا وأعم: إنه يعني كما قلنا مطلق الخضوع والانقياد والطاعة.

الدين والعبادة تاريخياً

المسلم به تاريخياً أن العبادة موجودة منذ القدم، الظاهرة العامة في البشر هي وجود ظاهرة الدين والعبادة، والحالات النادرة هي حالات عدم الارتباط بمعبود.

يقول ديورانت، بعد أن يذكر حالات إنكار أو تشكيك في المعبود، يقول: "على أن هذه حالات نادرة الوقوع أي حالات عدم الدين، ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعمّ البشر جميعاً اعتقاداً سليماً، وهذه، في رأي الفيلسوف، حقيقة من الحقائق التاريخية والنفسية..."^٣.

إلا أن الدين وتبعاً له العبادة مُسخت تاريخياً، فمرّ الإنسان عبر التاريخ بوهن ديني وعبادي، فخضع لضعيف مثله بل لمن هو أقل ضعفاً منه، وركع لوهم وسراب، وسجد لما لا يضر ولا ينفع، وأطاع من ليس فيه ما يؤهله لذلك!

١- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١، ص ٨٣.

٢- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فرد وجدي، مج، ص.

٣- ول ديورانت، م.س، مج ٢١، ج ١، ص ٩٩، دار الجيل.

يذكر ديورانت بعض هذه العبادات المنحرفة فيقول: "ولسنا ندري متى حلت الشمس محل القمر سيدة على دولة السماء عند الديانة البدائية... وكان الهنود في أمريكا الشمالية أحياناً يعزون هزيمتهم وانحلالهم إلى أن البيض و"الفال" القدماء عبدوا أشجار غابات معينة كانت لديهم مقدسة... وأقدم عقيدة دينية في آسيا... هي تقديس الأشجار والينابيع والأنهار والجبال، فكثير من الجبال كان أماكن مقدسة... أما الزلازل فليست إلا الهة ضجروا أو ضاقوا صدرًا فهزّوا أكتافهم!

...ثم تدرجت عبادة الأشباح حتى أصبحت عبادة الأسلاف، فقد بات الناس يخافون موتاهم جميعاً ويعملون على إسترثائهم خشية أن يُنزّلوا لعناهم على الأحياء فيجلبوا لهم الشقاء...^٤.

هذه هي بعض العبادات المنحرفة عن الفطرة، والمنافية للعقل والمنطق، وفي القرآن الكريم إشارات إلى بعض هذه العبادات الجاهلية: "إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ"^٥. "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"^٦. "قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاكِفِينَ"^٧.

الأنبياء يحاربون العبادات المنحرفة

كان الأنبياء العظام من المحاربين وبكل حزم وقوة، للعبادات المنحرفة والجاهلية، وجاهدوا في هذا السبيل مجاهدة عظيمة. وفي نفس الوقت أعطوا الناس الوجهة الصحيحة للعبادة، وهي: عبادة الله، الذي يمثل الكمال المطلق، خالق الكون، رب العالمين، باري السموات والأرض، الذي إليه يرجع الأمر كله. "وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ"^٨.

٤- ول ديورانت، م.س، مج ٢١، ج ١، ص ١٠٣.

٥- النمل: ٢٤-٢٣.

٦- الأنعام: ٧٤.

٧- الشعراء: ٧١.

٨- الأعراف: ٦٥.

"وَالْيَ تُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ".^٩
"وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ".^{١٠}

ولقد حطم النبي إبراهيم عليه السلام أصنام الكافرين "وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ".^{١١}

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن دخل مكة منتصراً حطم الأصنام الموجودة في الكعبة، ودعا إلى عبادة الواحد القهار، وقال: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".^{١٢}

وفعلاً عندما قال العرب كلمة التوحيد وأطاعوا الله وخضعوا وانقادوا له، تغيّر حالهم رأساً على عقب، من الجهل إلى العلم، من المحكومية إلى الحاكمية، من الذلة إلى العزة.

هذه هي العبادة لله والطاعة له، تغيّر الشعوب والأفراد، وتجعلهم سادة أنفسهم أحراراً، وتخرجهم من عبودية الشهوات والهوى والأشخاص والأوهام.

يقول ديورانت: "إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقى به دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله... وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدد، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليل عددها متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة...".^{١٣}

أرأيتم كيف تجعل العبادة من الفقر غنى؟ هل عرفتم حقاً معنى الحديث: "يا ابن آدم تفرغ لعبادتي مملأً قلبك غنى"، فإذا مملأ القلب غنى، فبطبيعة الحال، سينتشر الغنى في عقل الإنسان وأخلاقه وسلوكه وروحه، وستكون حياته كلها غنى وإنتاجاً وفعالية ونشاطاً.

٩- الأعراف: ٧٣.

١٠- المائدة: ٧٢.

١١- الأنبياء: ٥٧.

١٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٨، ص ٢٠٢.

١٣- ول ديورانت، م.س، مج ١٤، ١٣، ج ١١، ص ٤٧.

العبادة في القرآن الكريم

لقد دعا القرآن في كثير من آياته إلى العبادة السليمة، ونهى عن العبادة المنحرفة، وذكر أن غاية الخلق هي العبادة، بالإضافة إلى إلفات عديدة، وإليك نماذج من الآيات:

دعوة إلى عبادة الله

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ١٤.

لا تعبدوا الشيطان

"أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ" ١٥.

اعبدوا باخلاص

"قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ" ١٦.

"قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي" ١٧.

لا سلطان للشيطان على العابدين المخلصين

"قَالَ فِعْرَتَبْتَكَ لِأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ" ١٨.

الثقة والشباب على عبادة الله

"قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ" ١٩.

غاية الخلق العبادة

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" ٢٠.

ثمرة العبادة اليقين

"وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" ٢١.

من أخلاق عباد الرحمن وصفاتهم

"وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ

١٤ - البقرة: ٢١.

١٥ - يس: ٦٢ - ٦٠.

١٦ - الزمر: ١١.

١٧ - الزمر: ١٤.

١٨ - ص: ٨٢ - ٨٣.

١٩ - الكافرون: ٢١.

٢٠ - الذاريات: ٥٦.

٢١ - الحجر: ٩٩.

جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَعُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا^{٢٢}.

جزاء عباد الله يوم القيامة

"يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ"^{٢٣}.

العبادة في الأحاديث

لقد حدّدت الأحاديث مفهوم العبادة، تحديداً شاملاً، فالتقت مع المعنى اللغوي في ذلك، وذكرت الغاية من العبادة، وأنواع العابدين، وما هو العابد حقاً، وأزلت المفهوم الخاطيء للعبادة، التي يحصرها في العبادات المتعارفة بين الناس. وإليك نماذج:

تحديد مفهوم العبادة

عن الصادق عليه السلام: "ليس العبادة هي السجود ولا الركوع، إنما هي طاعة الرجال، من أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عبده"^{٢٤}.

علة العبادة

عن الرضا عليه السلام: "فإن قال: فلم تعبدهم؟ قيل: لئلا يكونوا ناسين لذكره ولا تاركين لأدبه، ولا لاهين عن أمره ونهيه، إذا كان فيه صلاحهم وقوامهم، فلو تركوا بغير تعبّد لطلال عليهم الأمد، ففقت قلوبهم"^{٢٥}.

من ثمرات العبادة

عن علي عليه السلام: "العبادة فوز"^{٢٦}.

وعن عليه السلام: "دوام العبادة برهان الظفر بالسعادة"^{٢٧}.

متى يكون العبد عبداً

في حديث المعراج: "يا أحمد هل تدري متى يكون العبد عبداً؟ قال: لا يا رب، قال: إذا

٢٢- الفرقان: ٦-٩٦٣.

٢٣- الزخرف: ٦٨.

٢٤- ميزان الحكمة الري شهري، مج ٦، ص ١٩، ح ١١٣٥١.

٢٥- ن.م، ص ١٠، ح ١١٣٠٧.

٢٦- ن.م، ص ١٠، ح ١١٣٠١.

٢٧- ن.م، ص ١٠، ح ١١٣٠٤.

اجتمع فيه سبع خصال: ورع يحجزه عن المحارم، وصمت يكفّه عما لا يعنيه، وخوف يزداد كل يوم من بكائه، وحياء يستحي مني في الخلاء، وأكل لا بدّ منه، ويغض الدنيا لبغضي، لها، ويحب الأختيار لحبي لهم" ٢٨.

العبادة ليست رهبانية

قال عيسى عليه السلام لرجل: "ما تصنع؟ قال: أتعبّد، قال: فمن يعود عليك؟ قال: أخي، قال: هو أعبد منك" ٢٩.

كيف تشعر بطعم العبادة

عن المسيح عليه السلام: "بحق أقول لكم: إنه كما ينظر المريض إلى طيب الطعام فلا يلتذّه مع ما يجده من شدّة الوجع، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذّ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حبّ المال" ٣٠.

أنواع العباد

عن علي عليه السلام: "إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار" ٣١.

خاتمة

العبادة حاجة إنسانية عامة، وهي تعبير عن ارتباط الناقص بالكامل، والضعيف بالقوي، والمخلوق بالخالق، بها يرتقي الإنسان ويتكامل، وبدونها يكون بلا سند ولا أنيس.

وعلينا أن نرتبط بالله خالق الكون ارتباطاً وثيقاً، وتكون طاعتنا له، طاعة عمل وانتاج وحركة، لا رهبانية وعزلة وخنوع. وأن نعبده بإخلاص، لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، بل لأنه أهل للعبادة؛ كونه الكمال والجمال المطلق. كما قال الإمام علي عليه السلام: "إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا رغبة في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك" ٣٢.

٢٨- ن.م، ص ١٢، ح ١١٣١٣.

٢٩- ن.م، ص ١٧، ح ١١٣٤٤.

٣٠- ن.م، ص ٢٧، ح ١١٤١٦.

٣١- ن.م، ص ١٧، ح ١١٣٤٥.

٣٢- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج ١١، ص ١٥٩.

من فقه الاسلام

س: ما هو حكم تارك الصلاة عمداً أو المستخف بها؟

ج : الفرائض اليومية الخمسة من الواجبات المهمة جداً في الشريعة الإسلامية، بل هي عمود الدين، وتركها أو الاستخفاف بها حرام شرعاً وموجب لاستحقاق العقاب.

س: هل تجب الصلاة على فاقد الطهورين؟

ج : يصلي في الوقت على الأحوط، وبعد الوقت يقضي مع الوضوء أو التيمم.

س: هل يجب استقرار البدن بصورة كاملة عند قراءة الأذكار المستحبة للصلاة أم لا؟

ج : في وجوب الاستقرار والطمأنينة أثناء الصلاة لا فرق بين الأذكار الواجبة والمستحبة.

س: إذا صلى شخص لمدة من الزمن على سجادة، أو في لباس تعلق بهما الخمس، فما حكم هذه الصلوات؟

ج : إذا كان جاهلاً بتعلق الخمس بهذا المال، أو بحكم التصرف فيه فما مضى منه من الصلوات فيه محكوم بالصحة^{٣٣}.

٣٣- أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامني، ج ١ العبادات، ص ١١١ ١٠٤ ١٠٣، ط ١٩٩٩، ٣، الدار الإسلامية.

خلاصة الدرس

- أ- العبادة لغة تعني: الخضوع، والانقياد، والطاعة، وهو معنى أشمل من المعنى المتعارف في الفقه الإسلامي.
- ب- الدين وتبعاً له العبادة، ظاهرة عامة في البشر، وحالات الإنكار وعدم الارتباط بمعبود حالة شاذة.
- ج- سعى الأنبياء العظام عليه السلام إلى ترسيخ العبادة الفطرية الصحيحة، عبادة الخالق العظيم، وتحطيم العبادات الأخرى.
- د- محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله، عندما أخرج العرب من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، انقلب حالهم من التخلف إلى التطور، وهذا ما يشير إلى مدى تأثير عبادة الله تعالى على المجتمع والفرد.
- هـ- القرآن الكريم: دعا إلى عبادة الله بإخلاص، ونبذ طاعة الشيطان، ودعا إلى الثبات على عبادة الله سبحانه، وجعل غاية خلق الإنسان العبادة أي طاعة الله والخضوع له في كل ما يأمر وما ينهى، ووصف عباد الرحمن بأوصاف بها يكونوا عباداً بكل معنى الكلمة.
- و- الأحاديث الشريفة: حدّدت مفهوم العبادة، تحديداً شاملاً، التقت فيه مع المعنى اللغوي، وأخرجت معنى العبادة عن المعنى الرهباني، ووصفت العابد الحقيقي بأوصاف منها: الورع، وخوف الله، والحياء منه، وحب الصالحين، الخ.

أسئلة حول الدرس

- ١- ما معنى العبادة لغة؟ وهل المعنى الفقهي يلتقي مع المعنى اللغوي؟
- ٢- ما هو دور الأنبياء عليه السلام؟ وإلى ماذا دعوا؟
- ٣- كيف كان تأثير التحوّل العربي إلى عبادة الله؟
- ٤- اذكر بعض آيات القرآن الكريم، في العبادة، وعنونها؟
- ٥- اذكر بعض الأحاديث، في العبادة، وعنونها؟

للحفظ

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في التوراة مكتوب: "يا ابن آدم، تفرّغ لعبادتي املأ قلبك غنى."
عن علي عليه السلام: "إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار."

الرهانية المسيحية

روى المؤرخون من عجائب الرهبان، فحدثوا عن الراهب ماكارىوس: أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد، وكان صاحبه الراهب يوسيبس يحمل نحو قنطارين من حديد، وقد قام ثلاثة أعوام في بئر نزع.

وقد عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة، فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة.

وكان بعض الرهبان لا يكتسبون دائماً، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام!

وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والابار النازحة والمقابر، ويأكلون كثيراً من الكأ والحشيش.

وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح، ويتأثمون من غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس^{٣٤}، ويروي ديورانت عن الراهب بارنار أنه ظل ثمانية وثلاثين عاماً يعيش في صومعة واحدة ضيقة، على فراش من ورق الشجر، وليس فيها إلا حفرة في الجدار^{٣٥}.

هذه بعض قصص الرهبان المؤسفة، والتي ترون فيها الانحراف عن العبادة التي أرادها الله تعالى، يقول تعالى: "... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا..."^{٣٦}.

٣٤ - ماذا خسر العالم بالخطايا المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ١٨٧.

٣٥ - ول ديورانت، م.س، مج ١٦، ١٥، ج ١٥، ص ١١٧.

٣٦ - الحديد: ٢٧.

التقوى

عن الإمام الصادق عليه السلام: "من أخرج الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى، أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وانسه بلا بشر"^١.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: "إن أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا فمؤونتهم يسيرة"^٢.

التقوى لغة وشرعاً

توقّى واتقى بمعنى واحد. وقد توقّيت واتّقيت الشيء وتقيته وأنقيته وتقاء: حدّته... والاسم التقوى... قوله تعالى: "هو أهل التقوى وأهل المغفرة" أي هو أهل أن يتقى عقابه، وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته"^٣.

فالتقوى لغة تعني الحذر، فتقوى الله تعني الحذر والخوف من الله، والحذر من الله يعني اتباع ما يرضيه واجتناب ما يسخطه، وهذه هي التقوى حسب المرتكزات الشرعية.

التقوى تعني أمرين

الأول: الاتيان بما يصلح الإنسان من خلال الإلتزام بأوامر الله.

الثاني: الامتناع عما يضّر الإنسان من خلال الانتهاء عن نواهي الله.

وكلاهما يساعدان على بعضهم بعض، فكلما أطاع الإنسان الله من حيث الأوامر كلما ساعده ذلك على الانتهاء عن النواهي، والعكس صحيح^٤.

١- ميزان الحكمة، الري شهري، ج ٣، ص ١٩٥٨.

٢- ن.م، ص ٢٣٠٧.

٣- لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥، ص ٤٠٢.

٤- يقول الإمام الخميني: ومن المعلوم أن ضرر المحرمات أكثر تأثيراً في النفس من أي شيء آخر، ولهذا كانت محرّمة، كما أن الواجبات لها أكبر الأثر في مصلحة الأمور ولهذا كانت واجبة، وأفضل من أي شيء، ومقدمة على كل هدف، وممهدة للتطور إلى ما هو أحسن. إن الطريق الوحيد إلى المقامات والمدارج الإنسانية يمر عبر هاتين المرحلتين الإتيان بالواجبات، الانتهاء عن المحرمات، بحيث أن من يواظب عليهما يكون من السعداء، وأهمهما هي التقوى من المحرمات، وأن أهل السلوك يحسبون هذه المرحلة مقدمة على المرحلة الأولى ٢٠٠٠ الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٢٠٢.

والتقوى خوف الله والحذر منه فرع الإيمان بالله وبالأخرة حيث العقاب والثواب، فكلما كان إيمان الإنسان أقوى، كلما كان خوفه من الله والحذر منه أقوى، مما ينعكس على سلوك الإنسان، فيصبح مستقيماً صالحاً.

فالمطلوب لكي تتحقق صفة التقوى في الإنسان، أن يؤكد صفة الإيمان بالله وبالأخرة في قلبه.

وهذا المعنى أي ترتب التقوى على الإيمان بالله وبالأخرة نراه في الآية الكريمة: "الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ".^٥

التقوى في القرآن نماذج

• دعوة إلى تقوى الله:

"وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"^٦، "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"^٧، "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ..."^٨، "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"^٩، "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"^{١٠}، "وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"^{١١}.

التقوى فرع الإيمان لا يكفي الإيمان

"قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ"^{١٢}، "يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة"^{١٣}.

٥- البقرة: ٤١.

٦- البقرة: ١٩٦.

٧- البقرة: ٢٠٣.

٨- البقرة: ٢٢٣.

٩- البقرة: ٢٣١.

١٠- البقرة: ٢٣٣.

١١- المائدة: ٧.

١٢- المائدة: ١١٢.

١٣- المائدة: ٣٥.

• لا تكفي الصلاة والعبادة:

"وَأَنْ أَتَمُّوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" ١٤، "وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ" ١٥.

• من ثمرات التقوى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا" ١٦، "وَآتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ" ١٧، "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" ١٨.

• ما يساعد على التقوى:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ١٩.
"تَبَّ عَلَىكُمُ الصَّيَّامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ٢٠.
"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ٢١.
"كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" ٢٢.
"وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" ٢٣.

• من صفات المتقين:

"لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" ٢٤.

• لا تكتفوا بالحد الأدنى من التقوى:

"اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" ٢٥.

١٤ - الأنعام: ٧٢.

١٥ - العنكبوت: ١٦.

١٦ - الأنفال: ٢٩.

١٧ - البقرة: ٢٨٢.

١٨ - الطارق: ٢.

١٩ - البقرة: ٢١.

٢٠ - البقرة: ١٨٣.

٢١ - البقرة: ١٧٩.

٢٢ - البقرة: ١٨٧.

٢٣ - الزمر: ٢٨٢٧.

٢٤ - البقرة: ١٧٧.

٢٥ - آل عمران: ١٠٢.

• إن أكرمكم عند الله أتقاكم:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" ٢٦.

• المتقون في الآخرة :

"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" ٢٧. "وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكلِ أبواب حفيظ * من خشية الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد" ٢٨. "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ" ٢٩.

التقوى في الأحاديث

• تفسير التقوى:

عن الإمام الصادق عليه السلام لما سئل عن تفسير التقوى، قال: "إن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك" ٣٠.

عن الإمام علي عليه السلام "المتقي من اتقى الذنوب" ٣١.

وعنه عليه السلام: "عند حضور الشهوات واللذات يتبين ورع الأتقياء" ٣٢.

وعنه أيضاً عليه السلام: "رأس التقوى ترك الشهوة" ٣٣.

• من ثمرات التقوى:

عن الإمام علي عليه السلام: "سبب صلاح الإيمان التقوى" ٣٤.

في وصية الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام: "أشعر قلبك التقوى تنل العلم" ٣٥.

وعنه عليه السلام: "هدي من اشعر التقوى قلبه" ٣٦.

٢٦- الحجرات: ١٣.

٢٧- الذاريات: ١٥.

٢٨- ق: ٣٥٣١.

٢٩- الطور: ٢٠١٧.

٣٠- ميزان الحكمة، الري شهري، ج ٤، ص ٣٦٣٨.

٣١- م، ص.

٣٢- م، ص.

٣٣- م، ص.

٣٤- م، ج ٢، ص ١٢٣٢.

٣٥- م، ج ٣، ص ٢١٠٢.

٣٦- م، ج ٤، ص ٣٤٤٥.

وعنه أيضاً عليه السلام: "التقوى غاية لا يهلك من اتبعها، ولا يندم من عمل بها، لأن بالتقوى فاز الفائزون، وبالمعصية خسر الخاسرون"^{٣٧}.

• موانع التقوى:

عن الإمام علي عليه السلام: "لا يفسد التقوى إلا غلبة الشهوة"^{٣٨}.

عنه عليه السلام: "حرام على كل متولٍّ بالدنيا أن يسكنه التقوى"^{٣٩}.

عنه أيضاً عليه السلام: "لا يستطيع أن يتقي الله من خاصم"^{٤٠}.

• ما يساعد على التقوى:

عن الإمام علي عليه السلام: "التقوى ثمرة الدين، وأمانة اليقين"^{٤١}.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس"^{٤٢}.

رسول الله في وصيته لأبي ذر "لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك لشريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حل ذلك، أم من حرام"^{٤٣}.

عن الإمام علي عليه السلام: "رأس العلم التواضع، ومن ثمراته التقوى، واجتناب الهوى، واتباع الحق، ومجانبة الذنوب..."^{٤٤}.

وعنه عليه السلام: "والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه"^{٤٥}.

• التقوى ليست مظاهر:

عن الإمام الصادق عليه السلام: "لا يغرنك بكاؤهم فإن التقوى في القلب"^{٤٦}.

عن الإمام الباقر عليه السلام: "إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث"^{٤٧}.

• دور التقوى في قبول الأعمال:

عن الإمام علي عليه السلام: "لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل"^{٤٨}.

٣٧- م. ن. ص.

٣٨- م. ن. ج ٤، ص ٣٤٨٣.

٣٩- م. ن. ج ٤، ص ٣٦٣٧.

٤٠- م. س. ج ٤، ص ٣٦٣٧.

٤١- م. ن. ج ٤، ص ٣٦٣٦.

٤٢- م. ن. ص.

٤٣- م. ن. ص.

٤٤- م. ن. ج ٣، ص ٢٠٩٠.

٤٥- م. ن. ج ٤، ص ٣٦٣٧.

٤٦- م. ن. ج ٣، ص ٢٢٣٧.

٤٧- م. ن. ج ٤، ص ٣٦٣٤.

٤٨- م. ن. ج ٤، ص ٣٦٣١.

وعنه عليه السلام: "صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلا بهما التقى والاخلاص"^{٤٩}.

عن المعصوم عليه السلام: "جدّوا واجتهدوا، وإن لم تعملوا فلا تعصوا، فإن من يني ولا يهدم يرتفع بناؤه وإن كان يسيراً، وإن من يني ويهدم يوشك أن لا يرتفع بناؤه"^{٥٠}.

• مقياس الشرف والكرامة التقوى:

لما دخل رسول الله البيت عام الفتح، ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد، ثم خرج فأخذ بحلقة الباب وقال: "الحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، وغلب الأحزاب وحده، إن الله أذهب نخوة العرب وتكبرها بابائها، وكلكم من آدم، وادم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم"^{٥١}.

عن علي عليه السلام: "لا تضعوا من رفعتة التقوى، ولا ترفعوا من رفعتة الدنيا"^{٥٢}.

• علي إمام المتقين :

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً لعلي عليه السلام: "مرحباً بسيد المسلمين، وإمام المتقين"^{٥٣}.
فحريّ بنا أن نقتدي بأمر المؤمنين، لنكون من المتقين، ندخل جنة النعيم.

خاتمة:

إن الطريق الوحيد إلى المقامات والمدارج الإنسانية يمر عبر هاتين المرحلتين:

^١- فعل الواجبات.

^٢- الاجتناب عن المحرمات، بحيث إن من يواظب عليهما يكون من الناجين السعداء، وأهمهما هي التقوى من المحرمات، وأن أهل السلوك يحسبون هذه المرحلة مقدمة على المرحلة الأولى، إذ يتضح من الرجوع إلى الأخبار والروايات وخطب نهج البلاغة أن المعصومين كانوا يعتنون كثيراً بهذه المرحلة.

إذاً، أيها العزيز، بعد أن عرفت بأن المرحلة مهمة جداً، ثابر عليها بدقة، فإذا أنت خطوات الخطوة الأولى وكانت صحيحة، وبنيت هذا الأساس قوياً، كان هناك أمل بوصولك إلى مقامات أخرى، وإلا امتنع الوصول، وصعبت النجاة"^{٥٤}.

٤٩- ن.م، ص.

٥٠- ن.م، ص.

٥١- ن.م، ج ٤، ص ٣٦٢٩.

٥٢- ن.م، ج ١، ص ٩١١.

٥٣- ن.م، ج ٤، ص ٣٦٤٨.

٥٤- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٢٠٢.

س: ما هو تكليف الولد تجاه الوالدين، أو الزوجة تجاه زوجها، إذا كانوا لا يهتمون بدفع الخمس أو الزكاة المتعلقة بأموالهم؟ وهل يجرم عليهما التصرف في المال الذي لم يدفع منه الخمس أو الزكاة على أساس كونه مالا مختلطاً بالحرام، مضافاً إلى التأكيدات الواردة بعدم الاستفادة منه، لأن المال الحرام يؤدي إلى تلويث الروح؟

ج : يجب عليهما عند مشاهدة ترك المعروف أو فعل المنكر من الوالدين، أو من الزوج، القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما لو توقّرت لديهما شروط ذلك، وأما التصرف في أموالهم فلا بأس به إلا إذا حصل لهما اليقين بوجود الخمس أو الزكاة في خصوص ما يتصرفان فيه من أموالهم، وفي مثل هذه الحالة يجب عليهما الاستئذان من ولي أمر الخمس والزكاة بالنسبة لذلك المقدار.

س: ما هو الأسلوب الذي ينبغي للابن سلوكه تجاه الوالدين اللذين لا يهتمان بتكاليفهما الدينية بسبب عدم اعتقادهما الكامل بها؟

ج : يجب عليه أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر بلسان لئلا مع المحافظة على احترامهما كوالدين.

س: أخى لا يراعي الأمور الشرعية والأخلاقية، ولم تؤثر فيه النصيحة إلى الآن، فما هو واجبي حين مشاهدة أمثال هذه المواقف منه؟

ج : يجب عليك إظهار الإستياء من هذه التصرفات المخالفة للشرع، وتذكيره بأي أسلوب أخويّ تراه مفيداً وصالحاً، ولكن لا تقطع الرحم فإنه غير جائز^{٥٥}.

٥٥ - أجوبة الاستفتاءات، القائل الخامنئي، العبادات ج ١، ص ٣٣٨.

خلاصة الدرس

أ- التقوى لغة الحذر، وتقوى الله أي الحذر والخوف منه تعالى، والتقوى في المرتكزات الشرعية تعني أمرين اتباع ما يرضيه واجتناب ما يسخطه.

ب- الحذر من الله، فرع الإيمان بالله واليوم الآخر، فكلما كان الإيمان أقوى كلما كانت التقوى أقوى.

ج- التقوى في القرآن: دعوة إلى التقوى، التقوى فرع الإيمان، لا تكفي العبادة دون التقوى، من ثمرات التقوى العلم والرزق، ما يساعد على التقوى الصيام والعبادة، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، المتقون هم الفائزون في الآخرة.

د- التقوى في الأحاديث: لقد حددت الأحاديث معانٍ للتقوى، منها: أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث ينهاك، وذكرت ثمرات للتقوى: الصلاح والعلم والهدى والفوز، أما موانع التقوى: فغلبة الشهوة وحب الدنيا، ومما يساعد على التقوى: اليقين؛ اجتناب الشبهات؛ محاسبة النفس، وخزن اللسان، وأكدت أن التقوى ليست مظاهر، وبها تقبل الأعمال.

أسئلة حول الدرس

١- ما هو معنى التقوى لغة وشرعاً؟

٢- ما هو أصل التقوى؟

٣- أذكر بعض الآيات التي وردت في القرآن، بخصوص التقوى، وعنونها؟

٤- أذكر بعض الأحاديث التي وردت بخصوص التقوى، وعنونها؟

عن علي عليه السلام: "لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يُتَقَبَّل" ^{٥٦}.
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً للإمام علي عليه السلام: "مرحباً بسيد المسلمين، وإمام المتقين" ^{٥٧}.

٥٦- ميزان الحكمة، الري شهري، ج ٤، ص ٣٦٣١.

٥٧- ن.م، ص ٣٦٤٨.

وصية الإمام الخميني قدس سره بالتقوى

يقول الإمام: كان شيخنا العارف الجليل يقول: إن المثابرة على تلاوة آخر آيات سورة الحشر المباركة، من الآية الشريفة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ..."^{٥٨}، إلى آخر السورة المباركة، مع تدبر معانيها، في تعقيبات الصلوات، وخصوصاً في أواخر الليل، حيث يكون القلب فارغ البال، مؤثرة جداً في إصلاح النفس، وفي الوقاية من شر النفس والشيطان، وكان يوصي بدوام حال الوضوء، قائلاً: إن الوضوء مثل "بزة الجندي". وعلى كل حال، عليك أن تطلب من القادر ذي الجلال، من الله المتعال جلّ جلاله، مع التضرّع والبكاء والإلتماس كي يوفقك في هذه المرحلة ويعينك في الحصول على خصلة التقوى.

واعلم، أن بدايات الأمر صعبة وشاقة، ولكن بعد فترة من الاستمرار والمثابرة تتحول المشقة إلى راحة، والعسر إلى يسر، بل تتبدّل إلى لذة روحية، خصوصاً، وأن أصحاب هذه اللذة لا يستبدلوها بجميع اللذائذ.

ويمكن، إن شاء الله، وبعد المواظبة الشديدة والتقوى التامة، أن تنتقل من هذا المقام إلى مقام تقوى الخاصة. وهي التقوى التي تلتذذ الروح بها. إذ أنك بعد أن تذوق طعم اللذة الروحية تترك شيئاً فشيئاً اللذائذ الجسدية وتتجنبها. وعندئذ يسهل عليك المسير حتى لا تعيد تقييم وزناً للذات الجسدية الزائلة، بل تنفر منها، وتقبح زخارف الدنيا في عينيك، وتنظر في باطنك فتجد أن كلّ لذة من لذات هذا العالم قد أوجدت في النفس أثراً وأبقت في القلوب لطخة سوداء تبعث على شدة الأُنس بهذه الدنيا والتعلق بها. وهذه هي نفسها تكون سبب الإخلال إلى الأرض.

وعند سكرات الموت تتبدل إلى صعوبة ومشقة ومعاناة. والواقع أن صعوبة سكرات الموت وحالة النزاع الأخير القاسية ناجمة عن هذه اللذات وحب الدنيا، كما سبق

الإشارة إلى ذلك، فإذا أدرك الإنسان هذا المعنى سقطت لذات العالم من عينه كلياً، ونفر من الدنيا وما فيها من مباحج وزخارف، وهذا هو التقدم الثاني إلى المقام الثالث من التقوى.

وبذلك يصبح سبيل السلوك إلى الله سهلاً ميسوراً، وطريق الإنسانية نيراً واسعاً، وتصبح خطواته شيئاً فشيئاً خطوة الحق، ورياضته رياضة الحق، ويتهرب من النفس وآثارها وأطوارها. إذ يجد في ذاته عشق للحق، فلا يعود يقنع بعود الجنة والخور العين والقصور، بل يكون مطلوبه ومقصوده أمراً آخر، وينفر من الأنانية وحب الذات.

فيتقني حب النفس ويتقني ذاته وأنانيته. وهذا مقام على قدر كبير من الشموخ والرفعة، وهو أول مراتب هبوب نسيم الولاية، فيدرجه الحق المتعال في كنف لطفه، ويعينه ويجعله موضع ألطافه الخاصة.

أما ما يحدث للسالك بعد ذلك فخارج عن قدرة القلم، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والصلاة على محمد واله الطاهرين^{٥٩}.

٥٩- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٢٠٣٢٠٢.

الاخلاق

عن الإمام الرضا عليه السلام: "ولا عيش أغنى من حسن الخلق"^١.

المخلوق بالضم يطلق على الملكات والصفات الراسخة في النفس، حسنة كانت أم قبيحة، وهي في مقابلة الأعمال، ويطلق حسن الخلق غالباً على ما يوجب حسن المعاشرة ومخالطة الناس بالجميل.

قال الراغب: "المخلوق والمخلوق في الأصل واحد، لكن خصّ المخلوق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ المخلوق بالقوى والسجاياء المدركة بالبصيرة.

وقال في النهاية: المخلوق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسها وأوصافها ومعانيها المختصة بما بمنزلة المخلوق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة..."^٢.

مما تقدّم تعرف أن المخلوق هو ما يطلق على الصفات النفسية الباطنة سواء كانت حسنة أم قبيحة، وأن حسن المخلوق له إطلاق حسب الغالب على المعاشرة والمخالطة للناس بالجميل.

لقد اهتم الإسلام العظيم بإصلاح الصفات الخلقية للإنسان، اهتماماً كبيراً، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^٣، ولقد وصف الله تعالى رسوله في القرآن العظيم "وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"^٤.

والسؤال الذي يطرح هنا، هل الإنسان يستطيع أن يغيّر أخلاقه وصفاته النفسية؟ هل عنده إرادة التغيير؟ وللجواب نقول:

الإنسان صاحب إرادة

إن كل إنسان لو رجع إلى نفسه ودقق فيها يعرف أن في ذاته جهتين: جهة إرادية إختيارية، وجهة لا إرادية:

١- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٨، ص ٤٤٤.

٢- انظر بحار الأنوار، المجلسي، ج ٦٨، ص ٣٧٢.

٣- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ٣، ص ١٤٩، ح ٥٠٥٨.

٤- القلم ٤.

فبعض أفعال الإنسان تتم بصورة آلية ودون أن يتدخل الإنسان في المعتاد في مجراها، فهضم الطعام ودوران الدم وخفقان القلب وفز الغدد وما إليها، تتم بصورة آلية ولا يتدخل الإنسان فيها إلا في أحوال طارئة وظروف استثنائية.

وهذه أفعال غير إرادية. وهناك أفعال وسط بين الإرادية وغير الإرادية، مثل التنفس، فالإنسان ممكن أن يتحكم بها بعض التحكم.

وهناك نوع ثالث من الأفعال يخضع لمشئمة وإرادة الإنسان تماماً، فتحريك يدك أو عدم تحريكها، عمل إرادي، وخروجك عن المألوف من عاداتك عمل إرادي، وامتناعك عن الكلام عمل إرادي، وهكذا.

وهذا أمر يؤكّد أن هناك في الإنسان جهة إختيارية له الدور الأساس فيها، فباستطاعته أن يفعل أو لا يفعل في نطاق هذه الجهة الإرادية.

والأعضاء التي تحكمها هذه الجهة الإرادية الاختيارية هي: اليد، الرجل، العين، اللسان، السمع، الفرج، العقل، القلب.

فأنت تستطيع أن تضرب فلاناً أو لا تضرب، وتقدر على أن تذهب إلى عالم تنتفع بعلمه أو تذهب إلى مكان آخر تضر فيه نفسك، وتستطيع أن تنظر إلى خلق الله لتعتبر أو تنظر لتنتهي، وتستطيع أن تتكلم الكلام الطيب أو لا تستطيع، وهكذا بقية الأعضاء. هذه مسألة وجدانية، ولولا ذلك، لما حث الإسلام والرسول والأئمة عليهم السلام على تغيير الأخلاق كما سيأتي، لأنهم لا يأمرن بما لا يُطاق، "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا".

أمهات الأخلاق

تحدّث علماء الأخلاق عن تحصيل الخلق الحسن ومن النظريات: أن في باطن الإنسان أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق، وهي: قوّة العلم، وقوّة الغضب، وقوّة الشهوة، وقوّة العدل بين هذه القوى الثلاث...

وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة، وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة.

فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة سمي ذلك تهوراً، وإن مالت إلى الضعف والنقصان سمي ذلك جُبناً وخوراً.

وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة سمي شرهاً، وإن مالت إلى النقصان سمي خموداً، والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة، والطرفان رذيلتان مذمومتان.

والعدل إذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور. وأما الحكمة العقل فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة جريزة خداع، ويسمى تفريطها بلهاً، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة.

فإذن أتمت الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل... فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها ولعل الأصل في هذا التفصيل ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: "الفضائل أربعة أجناس: أحدها: الحكمة وقوامها في الفكرة، والثاني: العفة وقوامها في الشهوة، والثالث: القوة وقوامها في الغضب، والرابع: العدل، وقوامها في اعتدال قوى النفس".^٧

كيف تحصل الخلق الحسن

١ - معرفة أهمية الأخلاق

أن تعرف أهمية وإيجابية مكارم الأخلاق، وسلبية الأخلاق السيئة، فالعقل يبتعد عما يسيء له ولحياته، ويقترّب من كلّ ما يتقدّم ويغني حياته وآخرته، وإليك بعض إيجابيات وسلبيات الأخلاق:

أ- الدليل عزيز بأخلاقه:

يقول الإمام علي عليه السلام: "ربّ عزيز أدلّه خلقه، وذليل أعزّه خلقه".^٨

٦- انظر: ميزان الحكمة، الري شهري، مج ٣، ص ١٤٥ ١٤٤، نقلاً عن المحجة البيضاء.

٧- ن.م، ص ١٤٥، ح ٥٠٣٥.

٨- ن.م، ص ١٣٧، ح ٩٨٧٤.

ب- حسن الخلق والرزق الغني المادي:

عن الإمام علي عليه السلام: "حسن الخلق يدرُّ الأرزاق ويؤنس الرفاق"^٩.

ج- المحبة:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "حسن الخلق يثبت المودة"^{١٠}.

"سوء الخلق يوحش القريب وينفر البعيد"^{١١}.

د- راحة النفس:

عن علي عليه السلام: "سوء الخلق يوحش النفس ويرفع الأنس"^{١٢}.

"وإذا كان سوء الخلق يوحش ويتعب النفس، فحسن الخلق يريحها."

هـ عظيم الدرجات الأخروية:

عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إن العبد ليلبغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل..."^{١٣}.

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن خلقه كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح"^{١٤}.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن"^{١٥}.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم"^{١٦}.

١- تنمية العقل والعلم

ومن الأمور التي تساعد على تحصيل الخلق الحسن تنمية وتنقيف العقل، يقول علي عليه السلام: "الخلق المحمود من ثمار العقل، الخلق المذموم من ثمار الجهل"^{١٧}.

٢- ترويض وجهاد النفس

يقول الإمام علي عليه السلام: "روّضوا أنفسكم على الأخلاق الحسنة..."^{١٨}.

وعنه عليه السلام: "تابروا على اقتناء المكارم"^{١٩}.

وعنه أيضاً عليه السلام: "ابذل في المكارم جهدك تخلص من الماثم، وتحرز المكارم"^{٢٠}.

٩- ن.م، ص ١٥١، ح ٥٠٧٦.

١٠- ن.م، ص ١٥١، ح ٥٠٨٠.

١١- ن.م، ص ١٥٣، ح ٥٠٩٢.

١٢- ن.م، ص ١٥٣، ح ٥٠٩١.

١٣- المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ٩٣.

١٤- الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٠.

١٥- البحار، المجلسي، ج ٧١، ص ٣٨٣.

١٦- ميزان الحكمة، مج ٣، ح ٥٠١٣.

١٧- ن.م، ص ٤٩٩٣، ١٣٨.

١٨- ن.م، ص ١٤٦، ح ٥٠٤٠.

١٩- ن.م، ص ١٤٧، ح ٥٠٤٦.

٢٠- ن.م، ص ١٤٧، ح ٥٠٤٧.

وعنه عليه السلام: "تجنّب كلّ خلق أسوأه، وجاهد نفسك على تجنّبه، فإن الشرّ لاجحة"^{٢١}.

٤ - التعوّد على المكارم

عن الإمام علي عليه السلام: "عوّد نفسك السماح، وتخيّر لها من كل خلق أحسنه، فإن الخير عادة"^{٢٢}.

يقول العلامة الطباطبائي: "اعلم أن اصلاح أخلاق النفس وملكاتهما في جانبي العلم والعمل، واكتساب الأخلاق الفاضلة، وإزالة الأخلاق الرذيلة، إنما هو بتكرار الأعمال الصالحة المناسبة لها ومزاوتها، والمداومة عليها، حتى تثبت في النفس،... وتتراكم وتنتقش في النفس انتقاشاً متعزّداً متعزّداً متعزّداً، مثلاً: إذا أراد الإنسان إزالة صفة الجبن، واقتناء ملكة الشجاعة كان عليه أن يكرر الورود في الشدائد والمهاول... وكلّما ورد في مورد وشاهد أنه كان يمكنه الورود فيه وأدرك لذة الإقدام وشناعة الفرار والتحذر انتقشت نفسه بذلك انتقاشاً بعد انتقاش حتى تثبت فيها ملكة الشجاعة..."^{٢٣}.

٥ - الصّحة الصّالحة

يقول علي بن الحسين عليه السلام: "مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح..."^{٢٤}.

خاتمة

أيها الأخوة الأعزاء، لتسعوا جهدكم، ولتعملوا على تحصيل الإرادة القوية، لكي تسيروا في خط الأخلاق الحسنة، وتتكاملوا في طريق الإنسانية، فمن لا إرادة له، فمن الصعوبة بل من المستحيل أن يصل إلى الله، فالله لا يصل إليه إلا من كان ذا عزم وإرادة.

اللهم أعنا على تقوية إرادتنا، ووفقنا لذلك يا قوي يا عزيز، إنك سميع مجيب.

٢١- ن.م، ص ١٥١، ح ٥٠٧٤.

٢٢- ن.م، ص ١٥١، ح ٥٠٧٣.

٢٣- تفسر الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ج ١، ص ٣٥٤.

٢٤- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج ١، ص ١٧٥.

من فقه الاسلام

س: هل يجوز ارتداء اللباس المطبوع عليه أحرف وصور أجنبية؟ وهل يعدّ هذا اللباس نشرًا للثقافة الغربية؟
ج: لا مانع منه في نفسه ما لم تترتب عليه مفساد اجتماعية، وأما كونه نشرًا للثقافة الغربية المعارضة للثقافة الإسلامية فمؤكد إلى نظر العرف.

س: ما هو حكم تقليد الغرب في قصّ الشعر؟
ج: المناط في حرمة ما كان من هذا القبيل كونه تشبّهًا بأعداء الإسلام وترويجًا لثقافتهم، وهذا يختلف باختلاف البلاد والأزمنة والأشخاص وليس للغرب خصوصية في ذلك.

س: ما هو حكم ارتداء اللباس الأمريكي؟
ج: ارتداء اللباس المصنوع في الدول الاستعمارية لا بأس فيه في نفسه من ناحية كونه مصنوعاً من قبل أعداء الإسلام، ولكن لو استلزم ذلك ترويج الثقافة غير الإسلامية المعادية أو كان فيه تقوية لاقتصادهم المستخدم في استثمار البلاد الإسلامية، أو كان مما يؤدي إلى إلحاق الضرر باقتصاد الدولة الإسلامية ففيه إشكال، بل لا يجوز على بعض التقادير.

س: ما هو حكم لبس ربطة العنق والقبعة؟ وعلى فرض عدم الجواز، فهل يختص الحكم بمواطني الجمهورية الإسلامية أم يعم غيرهم ممن يسكن في سائر البلاد من المسلمين؟
ج: لا يجوز لبس ربطة العنق وشبهها مما يكون من لباس وزى غير المسلمين بحيث يؤدي إلى نشر الثقافة الغربية المعادية، ولا يختص الحكم بمواطني الدولة الإسلامية^{٢٥}.

٢٥- أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامنئي، المعاملات ١- ج ٢، ص ١٠٤ ١٠٣.

خلاصة الدرس

- أ- الخلق لغة يطلق على الملكات والصفات الراسخة في النفس، حسنة كانت أو قبيحة، ويطلق حسن الخلق غالباً على ما يوجب حسن المعاشرة ومخالطة الناس بالجميل.
- ب- اهتم الإسلام بإصلاح الصفات الخلقية للإنسان، حتى قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق."
- ج- الإنسان فيه جهتان، جهة إرادية، وجهة غير إرادية، والصفات الخلقية تدخل في الجهة الإرادية، وهذا ظاهر بحسب الوجدان، ولولا ذلك لما أمرنا بتغيير أخلاقنا، لُبَّح التكليف بما لا يطاق.
- د- من النظريات الأخلاقية حول أمّهات الأخلاق، أنّها أربعة أركان، فإذا تحسّنت تمّ حسن الخلق، وهي: العقل، والشجاعة، والعفة، والعدل.
- هـ- كيفية تحصيل الخلق الحسن:

١- معرفة أهمية حسن الخلق في حياة الإنسان وبعد مماته.

٢- تنمية العقل والعلم.

٣- ترويض وجهاد النفس.

٤- التعوّد على المكارم.

٥- الصحبة الصالحة.

أسئلة حول الدرس

- ١- ما معنى الخلق لغة، وعلى ماذا يطلق حسن الخلق غالباً؟
- ٢- ماذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بما يعبر عن اهتمام الإسلام بتحسين الأخلاق؟
- ٣- ما هما الجهتان الموجودتان في الإنسان، وما الدليل على وجودهما؟
- ٤- ما هي أمّهات الأخلاق؟
- ٥- كيف تكون إنساناً خلوفاً؟

للحفظ

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "حسن الخلق يثبت المودة"^{٢٦}.
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن"^{٢٧}.

٢٦- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ٣، ص ١٥١، ح ٥٠٨٠.

٢٧- بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧١، ص ٣٨٣.

في العزم

يقول الإمام الخميني قدس سره: يقول أحد مشايخنا: "إن العزم هو جوهر الإنسانية، ومعياري ميزة الإنسان، وإن اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه."

والعزم... هو أن يوطن الإنسان نفسه ويتخذ قراراً بترك المعاصي وبأداء الواجبات، وتدارك ما فاتته أيام حياته، وبالتالي أن يعمل على أن يجعل ظاهره إنساناً عاقلاً وشرعياً، بحيث يحكم الشرع والعقل بحسب الظاهر بأن هذا الشخص إنسان. والإنسان الشرعي هو الذي ينظم سلوكه وفق ما يتطلبه الشرع، وأن يكون ظاهره كظاهر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يقتدي بالنبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ويتأسى به في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع ما يفعل أو ما يترك. وهذا أمر ممكن، لأن جعل الظاهر مثل هذا القائد أمر مقدور لأي فرد من عباد الله.

واعلم: أن طي الطريق في المعارف الإلهية، لا يمكن إلا بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدب الإنسان بآداب الشريعة الحقة، لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلى في قلبه نور المعرفة وتكشف العلوم الباطنية وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه، سيستمر أيضاً في تأدبه بالآداب الشرعية الظاهرية.

...أيها العزيز... اجتهد لتصبح ذا عزم وإرادة، فإنك إذا رحلت من هذه الدنيا دون أن يتحقق فيك العزم على ترك المحرمات فأنت إنسان صوري، بلا لب، ولن تحشر في ذلك العالم عالم الآخرة على هيئة إنسان، لأن ذلك العالم هو محل كشف الباطن وظهور السريرة، وإن التجرؤ على المعاصي يفقد الإنسان تدريجياً العزم ويختطف منه هذا الجوهر الشريف، يقول الأستاذ المعظم: "إن أكثر ما يسبب فقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء."

إذاً تجنّب يا أخي المعاصي، واعزم على الهجرة إلى الحق تعالى، واجعل ظاهرك ظاهراً إنسانياً... واطلب من الله تعالى في الخلوات أن يكون معك في الطريق لهذا

المهدف، واستشفع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام حتى يفيض ريك عليك التوفيق، ويمسك بيدك في المزالق التي تعترضك، لأن هناك مزالق كثيرة تعترض الإنسان أيام حياته، ومن الممكن أنه في لحظة واحدة يسقط في مزلق مهلك، يعجز من السعي لإنقاذ نفسه، بل قد لا يهتم بانقاذ نفسه، بل ربما لا تشملته حتى شفاعة الشافعين. نعوذ بالله منها^{٢٨}.

٢٨- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٢٥ ٢٤.

النفس

عن الإمام الصادق عليه السلام: "غنى النفس أغنى من البحر"^١.

لقد مرّ في درس الأخلاق الحديث عن أن الإنسان صاحب إرادة يستطيع أن يغيّر سلوكه وخلقه النفسي، والسؤال الذي يطرح هنا، ما دام حديثنا عن النفس وغناها ما هو الذي يقوّي النفس وما الذي يضعفها؟

وبعبارة أخرى: ما هو الذي يقوّي إرادة النفس، وما الذي يضعفها؟ فإن جهاد النفس والسيطرة عليها هو غناها، فكيف نسيطر عليها؟

ما يقوّي إرادة النفس

١ - إن من أهم الأمور التي تقوّي الإرادة بل هو أساس الإرادة العقل وتنميته بالتفكّر والتدبّر، فالعلاقة قوية بين العقل والإرادة، فكلّما كان التعقّل قوياً كانت الإرادة أقرب إلى القوّة، وإذا هبط عنصر التعقّل كانت الإرادة أقرب إلى الضعف.

إن من أهم الأمور في تدعيم الإرادة أن لا يعطلّ الإنسان عقله، هذا العقل الذي يتفكّر ويوازن الأمور فيعرف أن يصل إلى الحقيقة والصواب.

يقول الإمام الخميني قدس سره: "اعلم أن أول شروط مجاهدة النفس والسير باتجاه الحق، هو التفكّر..."^٢، والتفكّر أدوات العقل، فمن لا عقل له لا تفكّر له.

٢ - الأمر الآخر الذي هو نتيجة تفكّر العقل الإيمان بالله تعالى وبالأخرة والثواب والعقاب فإن الإيمان الحقيقي القوي دعامة قويّة لتقوية وتثبيت الإرادة، فمن لا إيمان له لا صبر له ولا إرادة، والعكس صحيح.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الصبر وهو إرادة من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان"^٣.

١ - بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٢، ص ١٠٥.

٢ - الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٢٤.

٣ - أصول الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٨٧.

٣- من الأمور المساعدة على تقوية إرادة النفس العبادات الواعية لا العبادات الجأفة، الصلاة والصوم والدعاء وقراءة القرآن العظيم.

مثلاً يقول تعالى: "إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"٤ فنلاحظ أن عبادة الصلاة تقوي إرادة الإيمان، فينتهي الإنسان العابد عن الفحشاء والمنكر.

٤- السيطرة على الخيال، هذا الخيال مهم جداً السيطرة عليه، لأننا نعرف أن مقدمة السقوط في المعاصي هو التفكير فيها وتخيّلها بما تتضمنه من ملذّات وتزيينات.

يقول الإمام الخميني قدس سره: "اعلم أن الشرط الأول للمجاهد في هذا المقام جهاد النفس والمقامات الأخرى، والذي يمكن أن يكون أساس التغلب على الشيطان وجنوده، هو إمساك طائر الخيال، لأن هذا الخيال طائر متحلّق يستقر في كلّ آن على غصن ويجلب الكثير من الشقاء. وإنه من إحدى وسائل الشيطان التي جعل الإنسان بواسطتها مسكيناً عاجزاً ودفع به نحو الشقاء.

وعلى الإنسان المجاهد... أن يمسك بزمام خياله وأن لا يسمح له بأن يطير حيثما يشاء، وعليه أن يمنع من التحليق في الخيالات الفاسدة والباطلة، والمعاصي والشيطنة، وأن يوجه خياله دائماً نحو الأمور الشريفة.

وهذا الأمر ولو أنه قد يبدو في البداية صعباً بعض الشيء، ويصوّر الشيطان وجنوده لنا وكأنه أمر عظيم، ولكنه يصبح يسيراً بعد شيء من المراقبة والحذر...".٥

٥- ومن الأمور التي تساعد على السيطرة على الخيال وحديث النفس ذكر الله تعالى لأن الخيال والنفس إذا لم يملأ بذكر الله فيخشى أن يملأ بالأهواء النفسية والخيالات المنحرفة.

يقول الإمام الخميني قدس سره: "ومن الأمور التي تعين الإنسان وبصورة كاملة في مجاهدته للنفس والشيطان... هو التذكّر... والذكرى في هذا المقام، هي عبارة عن ذكر الله ونعمائه التي تطف بها على الإنسان...".٦

٤- العنكبوت: ٤٥.

٥- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٤٥.

٦- ن.م، ص ٢٧.

٦- ومن الأمور الضرورية للمجاهد المشاركة والمراقبة والمحاسبة، فالمشارط هو الذي يشارط نفسه في أول يومه على أن لا يرتكب اليوم أي عمل يخالف أوامر الله، ويتخذ قراراً بذلك ويعزم عليه...

وبعد هذه المشاركة عليك أن تنتقل إلى "المراقبة"، وكيفيتها أن تنتبه طوال مدة المشاركة إلى عملك...

وأما "المحاسبة" فهي أن تحاسب نفسك لترى هل أديت ما اشترطت على نفسك مع الله... إذا كنت قد وفيت حقاً، فاشكر الله على هذا التوفيق... فواظب على هذا العمل فترة، والمأمول أن يتحوّل إلى ملكة^٧...

٧- علّو الهمة وبعدّ الهدف فكلّما كان هدف الإنسان في حياته سامياً كلّما سمت إرادته، وهذا يدخل في باب نيّة الإنسان فإن نيّة الإنسان مهمّة في تفعيل إرادته.

أما ما يضعف الإرادة تستطيع أن تقابل ما ذكرنا سابقاً بأضدادها... فالجهل، وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر، والاستسلام للخيال المنحرف والوساوس الفاسدة وحديث النفس المتسافل، ونسيان الله وعدم ذكره، وعدم مراقبة النفس ومحاسبتها، وتسافل الهمة وفقدان الهدف العالي، والنيّة السيئة، وترك العبادات، كلّها أسباب تنتج ضعف الإرادة النفسية. بالإضافة إلى كثرة المعاصي، فكلّما ازداد الإنسان في المعاصي كلّما ضعفت إرادته وكلّما ابتعد عن المعاصي كلّما قويت إرادته، "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"^٨.

ومن أشد المعاصي تأثيراً على ضعف الإرادة شرب الخمر وتعاطي المخدّرات وسماع الأغاني المحرّمة التي تثير الشهوات، وتنسي الله تعالى، وتربط الإنسان بالدنيا وتنسيه الآخرة.

يقول الإمام الخميني قدس سره: "وإنّ التجرؤ على المعاصي يفقد الإنسان تدريجياً العزم ويختطف منه هذا الجوهر الشريف". يقول الأستاذ المعظم ويقصد المرحوم الشاه آباي: إن أكثر ما يسبب فقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء...^٩.

٧- انظر: ن.م، ص ٢٦.

٨- المطففين: ١٤.

٩- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٢٥

ومما يضعف العزم والإرادة أيضاً، البيئة الفاسدة والمجتمع المنحرف والصدقات غير الصابرة والإعلام الفاسد.

نماذج قوّة الإرادة

قوّة الإرادة النفسية تتصوّر على أنحاء ثلاثة:

- ١- الصبر على الطاعة، كالصلاة والصوم وما أشبه.
 - ٢- الصبر عن المعصية، كأن يصبر نفسه عن اقتراف الحرام.
 - ٣- الصبر على المصائب، كالصبر على البلاء والشدة.
- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الصبر ثلاثة، صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية..."^{١٠} وهنا نعطي بعض النماذج التي تمثل الصبر والإرادة والعزيمة، عسى أن تكون لنا قدوة نقتدي بها في حياتنا.

أ- الصبر على المصيبة: هذا النوع من الصبر يمثله صبر أيوب وصبر يعقوب على فراق ولديه يوسف وأخيه، وصبر أيوب عليه السلام أصبح مضرب مثل عند الناس، حيث يقولون: "يا صبر أيوب."

ب- الصبر عن المعصية: لقد خلّد لنا القرآن تجرية مهمّة في هذا المجال، مرّ بها النبي يوسف عليه السلام حيث صبر صبراً مهمّاً عن معصية الله المشرعة أمامه حيث دعت إليه امرأة العزيز؛ مع ملاحظة الأسباب التي تقوي معها دواعي الموافقة:

- ١- فإنه كان شاباً وداعية الشباب إليها قوية.
- ٢- وعزياً، ليس معه ما يعوّضه ويرد شهوته.
- ٣- وغريباً، والغريب لا يستحي في بلد غربته كما يستحي في بلده.
- ٤- والمرأة جميلة وذات منصب، وقد غاب الرقيب إلا الله وملائكته وهي الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص.
- ٥- ومع ذلك توعدّته إن لم يفعل بالسجن والصغار.

١٠- أصول الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٩١.

ومع هذه الدواعي كلها، صبر طاعة لله تعالى وبعداً عن الفجور.

إن الشباب المؤمن بحاجة وخاصة في هذه الأيام التي تنتشر فيها دواعي الفساد، بحاجة إلى الإقتداء بالنبي يوسف العظيم، بإرادته وجهاده لنفسه، فإنه نعم القدوة والأسوة.

ج- الصبر على الطاعة: مثاله صبر إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام وهذا نموذج رفيع من نماذج الصبر، أن يقدم الإنسان ابنه لله هذا يحتاج إلى صبر وإرادة عظيمين.

وأبرز مثال على ذلك: صبر الإمام الحسين عليه السلام، هذا الإمام العظيم الذي صبر صبراً عظيماً لتنفيذ أمر الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقدّم نفسه وأولاده وأرحامه وأصحابه، قرباناً لله وطاعة لأمره، إن تاريخ الإسلام عامر بالنماذج الصابرة، ولو أردنا أن نفصل لطلال بنا المقام، ولكن أحببنا أن نشير إلى هذه النماذج لتكون قدوة لنا ونبراساً نختدي به، فإن في العيش مع هكذا نماذج قوّة للإنسان وتسليّة لقلبه، ولن ننسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان قمة الصبر في الأقسام الثلاثة، وهو أسوتنا وقدوتنا "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً"^{١١}.

نماذج ضعيفة الإرادة

في التاريخ نماذج عديدة لضعف الإرادة، وأبرز مصداق لمجتمع ضعيف الإرادة، هو المجتمع الروماني، وقد مرّ عليكم بعض الكلام عن مفاسدهم، وكتب التاريخ لا تنسى ذكر مفاسدهم.

وإنكم لتجدون في عصرنا هذا أمثلة كثيرة على شخصيات ضعيفة الإرادة، غير صابرة في المجالات الثلاثة للصبر، وأكبر مثال على ذلك الشخصية الغربية، فهي شخصية لا إرادة لها، ولا صبر، فإذا أردتم معرفة حقيقة المجتمع الغربي، فما عليكم إلا أن تطلعوا الصحف، فإنه لا تخلو الصحف يومياً من خبرٍ عن مفاسد هذا المجتمع التعيس.

إن من أسباب ضعف الشخصية الغربية فضلاً عن السبب الرئيسي وهو بعدها عن الدين الفطري الصحيح أنها لا تقوم بتقوية إرادتها، بجهاد النفس وترويضها.

إن النفس إذا تُركت بلا ترويض ولا جهاد ولا مراقبة، تتفكك وتنحل وتضعف وهذه مقولة مؤيدة بالوجدان والتجربة. وهذا ما حصل مع الإنسان الغربي الذي استسلم لهواه، ولم يكبح جماح شهواته، فسقط في الهاوية، وسيأتي اليوم الذي تسمعون فيه بسقوط الحضارة الغربية بيديها.

خاتمة

أيها الشباب المسلم تمسكوا جيداً بدينكم، الذي يغنيكم ويقويكم، وإياكم أن تنهزموا أمام الثقافة والعادات الغربية، التي هي أشبه بالجاهلية الأولى، فإنكم إن مشيتم كما مشوا فستسقطون في الهاوية كما سقطوا. جاهدوا أنفسكم، وقووا إرادتكم، ولا تتركوا للأهواء والشهوات أن تتحكم بكم، فإن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر وهو الذي يساعد على الجهاد الأصغر، فإذا سقطت أنفسكم ولم تعرفوا أن تصلحوها، فإنه ستضعف إرادة جهاد الأعداء، وسنسقط في قبضتهم. عن الإمام الصادق عليه السلام: "أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية، فلما رجعوا، قال: مرحباً بكم قضا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس"^{١٢}.

١٢- فروع الكافي، الكليني، ج ٥، كتاب الجهاد، باب وجود الجهاد، ص ٣.

س: ما هو المميّز للموسيقى المحلّلة عن الموسيقى المحرّمة؟ وهل الموسيقى الكلاسيكية محلّلة، حبّذا لو تعطينا ضابطة لذلك؟

ج: ما كانت منها تعدّ بنظر العرف من الموسيقى اللهوية المطربة المناسبة مع مجالس اللهو والباطل، فهي الموسيقى المحرّمة. بلا فرق في ذلك بين الموسيقى الكلاسيكية وغيرها، وتشخيص الموضوع موكول إلى نظر المكلف العرفي، والموسيقى التي ليست كذلك لا بأس بها في نفسها .

س: ما هو المقصود من الموسيقى المطربة اللهوية؟ وما هو طريق تشخيص الموسيقى المطربة اللهوية من غيرها؟

ج: الموسيقى المطربة اللهوية هي التي تخرج الإنسان نوعاً عن حالته الطبيعية بسبب ما تحتويه من خصائص مما تتناسب مع مجالس اللهو والمعصية، والمرجع في تشخيص الموضوع إلى العرف.

س: هل صحيح ما يقال من أن للموسيقى جذوراً في الإسلام وبالموسيقى يمكن الوصول إلى اللّهمالموسيقى العرفانية ؟

ج: ليست الموسيقى من طرق الوصول إلى الله تعالى وإلى اكتشاف عظمة عالم الوجود والفوز بمعرفة الخالق المتعال، ولا ينال ذلك من خلال الموسيقى، على أن ترويج الموسيقى والاهتمام والاشتغال بها يتنافى مع أهداف الحكومة الإسلامية.

س: هل يجوز أخذ الأجرة على استنساخ الأشرطة الصوتية التي تحتوي على أمور محرّمة؟

ج: ما يحرم الاستماع إليه من الأشرطة الصوتية لا يجوز استنساخها ولا أخذ الأجرة على ذلك^{١٣}.

١٣- أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامني، المعاملات (١) ج ٢، ص ٢٠-٣٣.

خلاصة الدرس

- أ- جهاد النفس والسيطرة عليها هو غناها.
- ب- ما يقوي إرادة النفس: العقل والتفكير، الإيمان بالله واليوم الآخر، العبادة الواعية، السيطرة على الخيال، ذكر الله تعالى، المشاركة والمراقبة والمحاسبة، علو الهمة وتعد الهدفية الإنسان الصحيحة.
- ج- ما يضعف الإرادة: ما يقابل ما ذكر في ما يقوي الإرادة، بالإضافة إلى: كثرة المعاصي، ومن أشد المعاصي تأثيراً على ضعف الإرادة: شرب الخمر وتعاطي المخدرات وسماع الأغاني، البيئة الفاسدة، والصدقات المنحرفة...
- د- قوة الإرادة النفسية تتصور على أنحاء ثلاثة: صبر على الطاعة، صبر عن المعصية، صبر على المعصية.
- هـ- لأنبياء عليه السلام والأئمة نماذج مهمة في قوة الإرادة.
- و- المجتمع الروماني تاريخياً، والمجتمع الغربي حاضراً، نماذج مؤسفة، في ضعف الإرادة.

أسئلة حول الدرس

- ١- ما هو غنى النفس؟
- ٢- ما هو الذي يقوي الإرادة؟
- ٣- ما هو الذي يضعف الإرادة؟
- ٤- ما هي الأنحاء الثلاثة لقوة الإرادة؟
- ٥- اعطِ مثلاً عن نماذج قوية الإرادة، واذكر كيف صبر النبي يوسف عليه السلام بالذات؟
- ٦- اعطِ مثلاً عن نماذج ضعيفة الإرادة؟

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان" ^{١٤}.
عن الإمام الصادق عليه السلام: "غنى النفس أغنى من البحر" ^{١٥}.

١٤ - أصول الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٨٧.

١٥ - بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٢، ص ١٠٥.

اعلم أيها العزيز أنه مثلما يكون لهذا الجسد صحة ومرض، وعلاجاً ومعالجاً، فإن للنفس الإنسانية أيضاً صحة ومرضاً، وسقماً وسلامة، وعلاجاً ومعالجاً.

إن صحة النفس وسلامتها هي الاعتدال في طريق الإنسانية، ومرضها وسقمها هو الإعوجاج والانحراف عن طريق الإنسانية، وإن الأمراض النفسية أشد فتكاً بالآلاف المرات من الأمراض الجسمية، وذلك لأن هذه الأمراض إنما تصل إلى غايتها بحلول الموت. فما أن يحل الموت، وتفارق الروح البدن، حتى تزول جميع الأمراض الجسمية...، ولا يبقى أثر للآلام أو الأسقام في الجسد، ولكنه إذا كان ذا أمراض روحية وأسقام نفسية لا سمح الله فإنه ما أن تفارق الروح البدن... حتى تظهر الامها وأسقامها.

إن مثل التوجه إلى الدنيا والتعلق بها، كمثّل المنحدر الذي يسلب الإنسان شعوره بنفسه. فعندما يزول ارتباط الروح بدينها البدن، يرجع إليها الشعور بذاتها، ومن ثم الإحساس بالآلام والأسقام التي كانت في باطنها...

وتلك الآلام إما أن تكون ملازمة لها للروح ولا تزول عنها أبداً، وإما أن تكون قابلة للزوال. وفي هذه الحال يقتضيها أن تبقى آلاف السنين تحت الضغط والعناء والنار والاحتراق قبل أن تزول، إذ أن آخر الدواء الكي...

إن منزلة الأنبياء هي منزلة الأطباء المشفقين، الذين جاؤوا بكل لطف ومحبة لمعالجة المرضى، بأنواع العلاج المناسب لحالهم، وقاموا بمداينتهم إلى طريق الرشاد... إن الأعمال الروحية القلبية والظاهرية والبدنية هي بمثابة الدواء للمرض، كما أن التقوى... بمثابة الوقاية من الأمور المضرة... ومن دون الحماية لا يمكن أن ينفع العلاج، ولا أن يتبدل المرض إلى الصحة^{١٦}.

١٦- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٢٠١، ط ١٩٩١، دار التعارف.

الحسد

عن أبي عبد الله عليه السلام: "ليس لحاقن رأي، ولا لملول صديق، ولا لحسود غنى..."^١.

هذه الرواية تشير إلى أنّ الحاسد لا يصل إلى حالة الغنى الروحي والنفسي والعقلي والسلوكي والأخلاقي، مما يشير إلى خطورة صفة الحسد في النفس الإنسانية، ومانعتها عن الكمال الإنساني.

تعريف الحسد

الحسد حالة نفسية يتمنى صاحبها سلب الكمال والنعمة التي يتصورها عند الآخرين، سواء أكان يملكها أم لا، وسواء أرادها لنفسه أم لم يردها.

وأما قولنا "النعمة التي يتصورها عند الآخرين" فنعني به أن تلك النعمة قد لا تكون بذاتها نعمة حقيقية، مثلاً هناك بين الناس، أشخاص يحسبون الفتك بالغير وسفك الدماء موهبة عظيمة، فإذا شاهدوا من هو كذلك حسدوه.

أو قد يحسبون سلاطة اللسان وبذاءته من الكمالات، فيحسدون صاحبها.

ويفترق الحسد عن الغبطة، في أن صاحب الغبطة يريد النعمة التي توجد لدى الغير، أن تكون لنفسه، من دون أن يتمنى زوالها عن الغير.

درجات وأنواع الحسد

للحسد درجات وأنواع حسب حال المحسود، وحسب حال الحاسد، وحسب حال الحسد ذاته.

أما من حيث حال المحسود: فمثل أن يحسد شخصاً لما له من كمالات عقلية، أو أخلاق وخصال حميدة، أو لما يتمتع به من الأعمال الصالحة والعبادية، أو لأمر خارجة

١ - الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٣٠١.

أخرى، مثل: امتلاكه المال والجاه والعظمة والاحتشام وما إلى ذلك، أو أن يحسد على ما يقابل هذه الحالات من حيث كونها من الكمال الموهوم.

وأما من حيث حال الحاسد، فقد ينشأ الحسد أحياناً من العداوة، أو التكبر أو الخوف وغير ذلك من الأسباب والعوامل التي سيرد ذكرها فيما بعد.

وأما من حيث حال الحسد نفسه، فله درجات وأنواع حسب اختلاف أسبابه وآثاره وسيأتي البيان.

ذكر بعض أسباب الحسد

وقد حصر بعضهم كالعلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه^٢ أسباب الحسد في سبعة أمور:

الأول: العداوة.

الثاني: التعزّز، بحيث لا يطيق احتمال تكبر وتفاخر المحسود لعزة نفس الحاسد.

الثالث: الكبر، أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود.

الرابع: التعجب، أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة، كما أخبر الله عن الأمم الماضية "مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا"^٣.

الخامس: الخوف، أن يخاف من فوات مقاصده، ومزاحمته في أغراضه.

السادس: حب الرئاسة، بحيث لا يحب لغيره أن يصل إلى مركز ما.

السابع: خبث الطينة.

والإمام الخميني بدوره يقول: "إن كل هذه الأسباب في الحقيقة ترجع إلى رؤية ذل النفس بمعنى أن الجسد هو ذلك الانقباض والذل النفسي اللذان تكون نتيجتهما الرغبة في زوال النعمة والكمال عن الآخرين^٤.

٢- بحار الأنوار، المجلسي، مجلد ٧٣، ص ٢٤٠.

٣- يس: ١٥.

٤- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ١٠٨.

في بعض سلبيات الحسد

- ١- ما ذكر في بداية حديثنا من أن الحاسد لا يصل إلى الغنى المعنوي والكمال الإنساني. ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: "... ولا لحسود غنى".
- ٢- الحسد ربما يقضي على أساس الدين، قال أبو عبد الله عليه السلام "آفة الدين الحسد والعُجب والفخر"^٥.
- ٣- وعن أبي جعفر عليه السلام: "إن الرجل ليأتي بأي بادرة فيكفر، وإن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب"^٦.
- ٤- من المفاسد الكبيرة التي لا تنفك عن الحسد، سخط الحسود على الخالق وولي نعمته وإعراضه عن تقديراته تعالى.
- ٥- ربما يصل الحاسد إلى مرحلة، يؤدي فيها المحسود إلى حدّ القتل، وقصة حسد إبليس لآدم معروفة، وحسد قابيل لهابيل معروفة أيضاً.
- ٥- وكما نسمع عن جرائم سرقة أو قتل في البلاد الغربية سببها الحسد.
- ٥- ويذكر الإمام الخميني قدس سره مفسدة أخروية حيث يقول: "ومن مفسد هذا الخلق الذميمة، كما يقول العلماء، ضيق القبر وظلمته. وعلى أي حال إن صاحب هذا الخلق يعيش في الدنيا معذباً مبتلىً، ويكون له في القبر ضيق وظلمة، ويحشر في الآخرة مسكيناً متألماً"^٧.

علاج الحسد

- ١- أن يعلم أن الحسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود.
- قال الإمام الصادق عليه السلام: "الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود، كإبليس أورت بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم الاجتباء والهدى... فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإن

٥- أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الحسد، ح ٥.

٦- ن.م، ح ١.

٧- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ١١١

ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد؟ ماذا يضر المحسود الحسد...^٨.

٢- يقول الإمام الخميني قدس سره: "وليُعلم من يحسد الناس ويتمنى زوال النعمة عن الآخرين، ويحقد في قلبه على أصحاب النعم، أنه لا إيمان له بأن الله عزَّ وجلَّ من باب معرفة الصالح أسبغ نعمه على أولئك، وأن ادراكنا لذلك قاصر.

وليُعلم أيضاً أنه لا يؤمن بعدل الله تعالى ولا يرى التقسيم عادلاً. إنك في أصول العقائد تقول أن الله عادل، وما هذا إلا مجرد لفظة على لسانك...^٩.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن لنعم الله أعداءاً، فقليل: ومن هم؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله"^{١٠}.

وقد جاء في الحديث الشريف: يقول الله عزَّ وجلَّ: "إن الحسود يشيح بوجهه عما قسّمته بين العباد، وهو ساخط على نعمي"^{١١}.

٣- وهو بمثابة علاج عملي يذكره الإمام الخميني قدس سره "وذلك بأن تتكلف إظهار المحبة للمحسود وترتب الأمور بحيث يكون هدفك هو معالجة مرضك الباطني. إن نفسك تدعوك لإيذائه واعتباره عدواً... ولكن عليك أن تعمل خلافاً لما تريده النفس، وأن تترحم عليه وتحترمه وتجعله.

واحمل لسانك على أن يذكر محاسنه... وتذكر صفاته الجميلة.

صحيح إن هذا سوف يكون متكلفاً في بادئ الأمر...

ولكن بما أن الهدف هو إصلاح النفس... فسوف تقترب في النهاية من الحقيقة، ويخف تكلفك شيئاً فشيئاً"^{١٢}.

٤- تلقين النفس "قل لنفسك إن هذا الإنسان عبد من عباد الله، ولعل الله نظر إليه نظرة لطف فأنعم عليه بما أنعم"^{١٣}.

وحاول أن تكرّر في نفسك آية أو حديثاً ينهي عن الحسد كما في آية "أَمْ يَحْسُدُونَ

٨- جامع السعادات، ج ٢، ص ٢٠١.

٩- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ١١٤.

١٠- أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٠٦.

١١- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ١١٤.

١٢- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ١١٥١١٤.

١٣- ن.م، ص ١١٥.

النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ"١٤، أو رواية من الروايات التي مرّت، عسى أن يكون تكرارها في النفس سبيلاً إلى رسوخ معناها في الباطن.

خاتمة

في نهاية المطاف أيها الأخ العزيز إن أردت الوصول إلى الله، والكمال المعنوي والإنساني، والارتقاء إلى معالي الأخلاق، فما عليك إلا أن تزيل هاجس الحسد من نفسك فإن في ذلك سعادتك وسعادة مجتمعك، وإن حسدت فإنك لن تغير من الواقع شيئاً، بل إن الواقع سيقطب عليك.

من فقه الاسلام

س: هل يجوز لطلاب أحد المراكز التعليمية رفع التقارير عما يشاهدونه فيها من المنكرات إلى المسؤولين الثقافيين لمنع وقوعها؟

ج: لا بأس في ذلك إذا كانت التقارير عن الأمور المحسوسة ولم ينطبق عليها عنوان التجسس أو الغيبة، بل قد يجب ذلك فيما إذا كان من مقدمات النهي عن المنكر.

س: هل يجوز اظهار ظلم أو خيانة بعض مسؤولي الإدارات أمام الناس؟

ج: لا مانع من اظهار ذلك بعد التأكد منه لدى المراكز والمراجع المسؤولة لمتابعة ذلك وملاحقته، بل قد يجب ذلك فيما إذا عدّ من مقدمات النهي عن المنكر، وأما الإظهار أمام الناس فلا وجه له، بل يحرم فيما إذا كان فيه الفتنة والفساد وتضعيف الدولة الإسلامية.

س: هل يجوز التحدث أمام الناس عن الأسرار الشخصية وعن الأمور الخاصة السرية؟

ج: لا يجوز كشف وإظهار الأمور الخاصة الشخصية أمام الآخرين فيما إذا كانت مرتبطة بوجه ما بغيره أيضاً أو كان موجباً لترتب مفسدة.

س: يقوم البعض بالتحدث عن بعض المظاهر السلبية في الجمهورية الإسلامية صانها الله من الأعداء أمام الآخرين، فما هو حكم الاستماع إلى مثل هذه الأحاديث والحكايات؟

ج: من الواضح أن القيام بأي عمل يوجب تشويه صورة الجمهورية الإسلامية المواجهة للكفر والاستكبار العالمي ليس لصالح الإسلام والمسلمين، بل يكون لصالح أعداء الإسلام خذلهم الله تعالى، فيكون محرماً شرعاً بلا ريب، فلا يجوز عونه على ذلك ولا الاصغاء لكلامه حول مثل هذه الأمور.

١٤ - أجوبة الاستفتاءات، الإمام الخامنئي، المعاملات ١ - ج ٢، ص ١٠٨ ١٠٦، ط ١٩٩٩، الدار الإسلامية.

خلاصة الدرس

- أ- الحسد حالة نفسية يتمي صاحبها سلب الكمال والنعمة التي يتصورها عند الآخرين.
- ب- صاحب الغبطة يريد النعمة التي توجد لدى الغير، أن تكون لنفسه، من دون أن يتمنى زوالها عن الغير.
- ج- العلامة المجلسي يذكر سبعة أسباب للحسد، إلا أن الإمام الخميني يرجعها إلى سبب واحد وهو رؤية ذل النفس أمام صاحب النعمة المحسود.
- د- من سلبيات الحسد: عدم الكمال المعنوي، والقضاء على الدين، وربما يصل الحاسد إلى مرحلة الوقوع في الذنوب الكبيرة كقتل المحسود.
- هـ- علاج الحسد: أن يعلم الحاسد أنه لن يغير من الواقع شيئاً لو حسد، والضرر يقع عليه، هو، ويحاول تلقين نفسه بآيات أو روايات تنهى عن الحسد، ويعالج نفسه عملياً باحترام المحسود وإظهار محبته.

أسئلة حول الدرس

- ١- ما هو الحسد، وما فرقه عن الغبطة؟
- ٢- إلى ماذا يرجع الإمام الخميني قدس سره سبب الحسد؟
- ٣- ما هي بعض سلبيات الحسد؟
- ٤- كيف نعالج الحسد؟

للحفظ

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن لنعم الله أعداءً، فقليل: ومن هم؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله." قال أبو عبد الله عليه السلام: "آفة الدين الحسد والعجب والفخر."

قبح الحسد

يقول الإمام الخميني: "إن هذه الصفة صفة الحسد القبيحة تضغط على القلب وتضيقه فتبدو آثارها في كل كيان الإنسان، باطنه وظاهره. إنها تصيب القلب بالحزن والكدر، والصدر بالاختناق والضيق، والوجه بالعبوس والغضب. وهذه الحال تطفئ نور الإيمان، وتميت قلب الإنسان، وكلما اشتدت ازداد ضعف الإيمان.

إن جميع الصفات المعنوية والظاهرية للمؤمن، تتنافى والآثار التي يوجدها الحسد في ظاهر الإنسان وباطنه. إن المؤمن يحسن الظن بالله تعالى، وهو راضٍ بقسمه الذي يقسمه بين عباده. أما الحسود فساخط على الله تعالى، يشيح بوجهه عن تقديراته. لقد جاء في الحديث، أن المؤمن لا يتمنى السوء للمؤمنين، بل هم أعزاء عنده، والحسود بعكس ذلك.

المؤمن لا يغلبه حب الدنيا، والحسود إنما هو مُبتلى بشدة حبه للدنيا.

والمؤمن لا يداخله خوف ولا حزن إلا من باريء الخلق تعالى، أما الحسود فخوفه وحزنه يدوران حول المحسود.

والمؤمن طلق الحياء، وبشراه في وجهه، والحسود مقطب الجبين عبوس الوجه. والمؤمن متواضع، والحسود متكبر في معظم الحالات، فالحسد أفة الإيمان التي تأكله، كما تأكل النار الحطب.

...فعلى الإنسان العاقل أن يشمّر عن ساعد الجسد لينقذ نفسه من هذا العار وإيمانه من هذه النار المحرقة والافّة الصعبة، وأن ينجو بنفسه من ضغط الفكر وضيق الصدر في هذه الدنيا... ومن غضب الله تعالى.

على الإنسان أن يفكر قليلاً ليدرك أن أمراً له هذا القدر من المفساد يجب أن يعالج، مع العلم أن حسدك لن يضر المحسود، فلا تزول نعمته بمجرد حسدك له...

ولا تظن أن الرذائل النفسية والخلق الروحي غير ممكنة الزوال، إن ظنونا باطلة توحيتها إليك النفس الأمارة والشيطان لكي تنحرف عن سلوك الآخرة وإصلاح النفس.

فما دام الإنسان في دار الزوال وعالم التبدل هذا، فمن الممكن أن يتغيّر في جميع أخلاقه وصفاته، ومهما تكن صفاته متمكنة، فإنها قابلة للزوال ما دام حيّاً في هذه الدنيا، وإنما تختلف صعوبة التصفية وسهولتها نتيجة شدة هذه الصفات وخفّتها.

ومن المعلوم أن إزالة صفة حديثة الظهور في النفس إنما يتحقق بقليل من الجهد والترويض، ... في أيامها الأولى التي لم ترسل جذورها إلى الأعماق بعد ولم تتمكن من التربة. ولكن إذا تمكنت تلك الصفة من النفس وأصبحت من الملكات المستقرة فيها، فإنه يصعب إزالتها، ورغم أن إزالتها ممكنة، كإقتلاع شجرة ضخمة معمرة ضربت بجذورها في أعمال التربة، فكّلما تقاعست وأبطأت في مساعيك لإقتلاع جذور المفاسد من قلبك وروحك، ازداد تعبك وعنائك في اجتثاثها^{١٥}.

١٥- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ١١٠ وما بعدها.

القناعة

عن أبي عبد الله عليه السلام: "أغنى الغنى القناعة"^١.

من وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام: "... ومن قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس..."^٢.

الحديثان المباركان وغيرهما أحاديث كثيرة يتحدثان عن قيمة أخلاقية عالية، لطالما ركّز عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، لترسيخها في نفوس المسلمين، ألا وهي أخلاقية القناعة.

معناها لغة وفي المرتكزات الشرعية

"والقناعة... الرضا بالقسم... وفي الحديث: "القناعة كنز لا يفنى"، لأن الانفاق منها لا ينقطع، كلما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي. وفي الحديث: "عز من قنع وذل من طمع، لأن القانع لا يذله الطلب فلا يزال عزيزاً... وفي المثل: خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع..."^٣.

فالقناعة لغة هي الرضا بالقسم، وهو يلتقي مع معناها في المرتكزات الشرعية حيث تعني القناعة: أن يقنع الإنسان بما قسم الله له من الأمور الدنيوية، بمعنى أن الإنسان إذا كانت طاقته لا تتحمل أن يتقدم مادياً، وظروفه لا تساعد، فعليه أن يقنع بما هو عليه من المستوى المالي، إلى أن يفتح الله عليه باباً من أبوابه. وهذا لا يعني أن لا يسعى الإنسان إلى تحسين حاله المادي إن استطاع.

ولا تعمّ القناعة الأمور المعنوية، فالإسلام دعا المسلمين إلى التزوّد والتنافس في الأمور المعنوية، كالعلم والإيمان والتقوى والخصال الأخلاقية الحميدة.

ولذلك قال تعالى: "... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"^٤.

١- مستدرک وسائل الشيعة، الميرزا النوي: ج ١٥: ص ٢٢٣

٢- تحف العقول، ابن شعبه الحراني، ص ٧

٣- لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٢٩٨

٤- المطففين: ٢٦

وقال سبحانه: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى"٥.

ويقول الإمام علي عليه السلام: "إن كنتم لا محالة متنافسين، فتنافسوا في الخصال الرغبة"٦.

المجتمع الغربي والحرص

وإذا أردنا أن نعرف أهمية صفة القناعة، فما علينا إلا أن ننظر إلى المجتمعات المادية، كالمجتمعات الغربية أوروبا وأمريكا، فإن هذه المجتمعات لا قناعة فيها، وقيمها قيم مادية، يتنافس الناس في هذه البلاد على جمع الأموال وتحصيل المناصب، ويتكالبون على الدنيا همماً وشراسة، لذلك وقع هذا المجتمع في أمراض روحية ونفسية وسلوكية خطيرة.

وإليكم تقرير يشهد لما نقول: ففي إحصاء صدر في الولايات المتحدة الأميركية "أن أكثر من ٦% من السكان يعانون نوعاً من سوء التوافق أي تعب نفسي، وأن واحداً من كل عشرة من السكان يحتاج إلى معونة الطبيب النفسي إن عاجلاً أو آجلاً، وأن واحداً من كل ثمانية عشر شخصاً ينفق بعض الوقت في مشفى عقلي، وأن عدد من يدخلون في المشافي في كل عام يساوي عدد من يتخرجون من الجامعات، وأن المصابين بأمراض عقلية أي جنون يشغلون من أسرة المشافي أكثر مما يشغله جميع المرضى بكافة الأمراض الأخرى، وأن نصف من يترددون على أطباء لعلل جسمية يعانون في الواقع من اضطرابات نفسية"٧.

فمن هذا التقرير نشهد مدى ما يعانيه المجتمع الغربي من متاعب نفسية، بل أمراض نفسية، وما ذلك إلا لأنهم يحبون المال حباً جماً ويحرصون على جمعه والاستزادة منه، تاركين التنافس على المعنويات.

فالمجتمع الغربي لا يعيش حياة طيبة التي تسببها القناعة، سئل علي عليه السلام عن قوله تعالى: "فلنحيينه حياة طيبة"، قال: "هي القناعة"٨.

٥-البقرة: ١٩٧

٦-ميزان الحكمة، الري شهري، ج ٣، ص ١٤٦

٧-الصحة النفسية، د. مصطفى فهمي، ص ٧

٨- ميزان الحكمة، الري شهري

فمن الأمور المهمة في طمأنينة الروح، وسعادة الحياة، وطيب العيش، وراحة البال، القناعة التي هي كنز لا ينفد.

آفات الحرص

ولعدم القناعة على مستوى الفرد والتي تنسحب على المجتمع آفات كثيرة منها:

- ١- الغم في الدنيا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لثاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمماً"^٩.
- ٢- الحسد: فإن من لا يقنع بما رزق، فمن المحتمل أن يقع في آفة الحسد، والوقاية من آفة الحسد والطمع سكينه وعافية، قال الإمام علي عليه السلام: "صحة الجسد من قلة الحسد"^{١٠} أما الطمع فصاحبه طول حياته هائم وحائر، كيف يجمع ويُدخر.
- ٣- الوقوع في الشر: فعير القانع ربما يسلك مسالك منحرفة لكي يحصل على الأموال، فرمما يسرق أو يغصب أو يقتل، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "خير المؤمنين القانع، وشرهم الطامع"^{١١}.
- ٤- فساد النفس: يقول الإمام علي عليه السلام: "أعوز شيء على صلاح النفس القناعة"^{١٢} فالحرص لا يساعد على صلاح النفس.
- ٥- ذلة النفس: في الحديث: "ثمره القناعة العز"^{١٣} فمن لا يقنع يذل نفسه.

علاج الحرص والطمع عدم القناعة

- ١- أن تعرف مضار عدم القناعة، وتأخذ العبرة من المجتمعات والأشخاص المبتلين بعدم القناعة.
- ٢- أن لا تطلب فوق طاقتك، وفوق ظروفك، بمعنى أن ترضى بما قسم الله لك، وبما أعطاك من طاقة، وهي لك من ظروف.

٩- جامع السعادات، النراقي، ج ٢، ص ١٠٣

١٠- فلسفة الاخلاق في الاسلام، محمد مغنية، ص ٢٠٨

١١- ميزان الحكمة، الري شهري، ج ٢، ص ١٧١٤

١٢- ن، م، ح، ١٧١٦

١٣- ن، م، ح، ١٧١٦

- ٣- أن يكون اهتمامك في المعنويات، وتنافسك في معالي الأخلاق، لا في اكتساب الأموال.
- ٤- أن تأخذ بنصيحة الإمام الصادق عليه السلام: "أنظر إلى من هو دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة، فإن ذلك أقنع لك بما قسم لك"١٤.
- ونصيحة أخرى أيضاً للإمام الصادق عليه السلام، فقد جاءه شخص يشكو إليه عدم القناعة فقال له: "إن كان ما يكفيك يغنيك فأدني ما فيها يغنيك، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك"١٥.
- ٥- أن تعرف أن الله يوم القيامة لا ينظر إلى الأموال بل ينظر إلى الأعمال الخالصة "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"١٦.
- عن النبي الأكرم: "اقنع بما أوتيته يخف عليك الحساب"١٧.

خاتمة

إذا أردتم راحة الدنيا قبل الآخرة، وسعادة الأولى قبل الآخرة، فما عليكم إلا بالتمسك بصفة القناعة في الماديات.

وإن كنتم لا تقنعون، فلتكن عدم قناعتكم في المعنويات، فلتتنافسوا فيها، لتعمر نفوسكم وعقولكم بالغنى، فإن الغنى الحقيقي هو غنى المعنويات، لا غنى الماديات.

١٤- الكافي، الكليني، ج ٨، ص ٢٤٤

١٥- ن.م.ج. ٢، ص ١٣٩

١٦- الشعراء: ٨٩

١٧- ميزان الحكمة: ج ٦٨، ص ١٧١

س: ما هو حكم الغش والكذب والخداع في المعاملة مع غير المسلمين من أجل الحصول على الفائدة المالية أو العلمية الزائدة في حالة عدم التفاتهم إلى ذلك ؟

ج: لا يجوز بحال الكذب والخداع والغش في المعاملات حتى وإن كان الطرف الآخر غير مسلم.

س: ما هو المقدار المرنّص فيه من الربح في بيع السلع؟

ج: ليس لذلك حد معين في نفسه، فلا بأس فيه ما لم يصل إلى حد الإجحاف ولم يكن على خلاف مقررات الدولة، ولكن الأفضل بل المستحب أن يكتفي بربح يفي بمؤونته.

س: ما هو حكم الرأسمالية في الإسلام وما هي حدودها؟ وهل يتيسر لأحد مع قيامه بأداء حقوق الفقراء والمساكين أن يصبح ثرياً جداً؟ وهل أن محاربة الإسلام للرأسمالية تنحصر في ثروة الشخص الذي لا يؤدي الخمس والزكاة أو أنها تشمل المسلمين الذين يؤدون الزكاة والخمس أيضاً؟ وأساساً هل يمكن للإنسان مع أداء الحقوق الشرعية المتعلقة بأمواله أن يصل إلى ذروة الثراء؟

ج: الحقوق الشرعية المتعلقة بأموال الأغنياء ليست محصورة في الزكاة أو الخمس فقط، والإسلام لا يعارض ازدياد الثروة فيما إذا كان جمع المال من طرق مشروعة مع الالتزام بأداء جميع الحقوق المتعلقة بالمال، وكان الاستثمار به من الطرق المحللة شرعاً ولصالح الإسلام والمسلمين، ولا مانع من أن يصل من خلال ذلك إلى ذروة الثراء^{١٨}.

١٨- اجوبة الاستفتاءات الخامنئي: المعاملات: ج: ٢: ض: ١٣٢

خلاصة الدرس

- أ- القناعة لغة: الرضا بالقسم، وهي تلتقي مع معناها في المرتكزات الشرعية.
- ب- القناعة مختصة في الأمور المادية، أما الأمور المعنوية فنحن مأمورون بالاستزادة منها، وعدم القناعة بما نحن عليه فيها.
- ج- المجتمع الغربي يعيش حياة غير طيبة ومن أسباب ذلك حرصه وتكالبه على المال والمناصب.
- د- للحرص آفات منها: الغم في الدنيا، الحسد، الوقوع في الذنوب الكبيرة، فساد النفس، ذلة النفس.
- هـ- علاج الحرص: معرفة مضار الحرص، وأن تهتم بالمعنويات، وأن تنظر إلى من هو دونك لتطيب نفسك.

أسئلة حول الدرس

- ١- ما معنى القناعة لغة وشرعاً؟
- ٢- هل القناعة تشمل الأمور المعنوية؟
- ٣- ما هو سبب اضطراب حياة المجتمع الغربي؟
- ٤- ما هي آفات الحرص؟
- ٥- ما هو علاج الحرص؟

للحفظ

عن الصادق عليه السلام: "أنظر إلى من هو دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة، فإن ذلك أقنع لك بما قسم لك."

طلب المزيد والكمال المطلق

يقول الإمام الخميني: لا يخفى على كل ذي وجدان أن الإنسان، بحسب فطرته... يعشق الكمال التام المطلق، ويتوجه قلبه شطر الجميل على الإطلاق والكمال من جميع الوجوه.

وهذا من فطرة الله التي فطر الناس عليها...

غير أن كل امرئ يرى الكمال في شيء ما، حسب حاله ومقامه، فيتوجه قلبه إليه، فأهل الآخرة يرون الكمال في مقامات الآخرة ودرجاتها، فقلوبهم متوجهة إليها. وأهل الله يرون الكمال في جمال الحق، والجمال في كماله...

وأهل الدنيا عندما رأوا أن الكمال في لذائذها، وتبين لأعينهم جمالها، اتجهوا فطرياً نحوها. ولكن على الرغم من كل ذلك، فإنه لما كان التوجه الفطري والعشق الذاتي قد تعلق بالكمال المطلق، كان ما عدا ذلك من التعلقات عرضياً ومن باب الخطأ في التطبيق.

إن الإنسان مهما كثر ملكه... ومهما نال من الملكات النفسية أو الكنوز الدنيوية أو الجاه والسلطان، ازداد اشتياقه شدة، ونار عشقه التهاباً.

فصاحب الشهوة، كلما ازدادت أمامه المشتبهات، ازداد تعلق قلبه بمشتبهات أخرى ليست في متناول يده، واشتدت نار شوقه إليها.

كذلك النفس التي تطلب الرئاسة، فهي عندما تبسط لواء قدرتها على قطر من الأقطار، تتوجه بنظر طامعة إلى قطر آخر، بل لو أنها سيطرت على الكرة الأرضية برمتها، لرغبت في التحليق نحو الكرات الأخرى للاستيلاء عليها.

إلا أن هذه النفس المسكينة لا تدري بأن الفطرة إنما تتطلع إلى شيء آخر... إنه لما كان الإنسان متوجهاً قليلاً إلى الكمال المطلق، فإنه مهما جمع من زخرف الحياة فإن قلبه يزداد تعلقاً بها. فإذا اعتقد أن الدنيا وزخارفها هي الكمال ازداد ولعه بها، واشتدت حاجته إليها، وتجلّى أمام بصره فقره إليها. بعكس أهل الآخرة الذين أشاحوا

بوجوههم عن الدنيا، فكلما ازداد توجههم نحو الآخرة، قلّ التفاتهم واهتمامهم بهذه الدنيا، وتلاشت حاجتهم إليها، وظهر في قلوبهم الغنى، وزهدوا في الدنيا وزخارفها، كما أن أهل الله مستغنون عن كلا العالمين الدنيا والآخرة... وكل حاجتهم نحو الغنى المطلق...

إذاً مضمون الحديث الشريف يمكن أن يكون إشارة لما مرّ شرحه من قوله: "من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّ جعل الله الفقر بين عينيه، وشتت أمره، ولم ينل من الدنيا إلا ما قُسم له، ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّ جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره"^{١٩}.

١٩- الاربعون حديثاً، الامام الخميني: ص ١٢٦

الدرس الثاني عشر

الغنى والفقر

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "نعم العون على تقوى الله الغنى".^١

عن الإمام علي عليه السلام: "إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مَنَّ به غني والله سائلهم عن ذلك".^٢

كان حديثنا سابقاً منصباً على الغنى المعنوي، العقلي الروحي والأخلاقي والاجتماعي، وإن كانت المواضيع التي طرحت سابقاً، يلزم منها غنى مادي في بعض الأحيان.

والسؤال الذي يطرح هنا، هل الإسلام يُنكر الغنى المادي، ويجبّد الفقر المالي؟ أم أنَّ الإسلام له وجهة نظر أخرى. للجواب نقول:

نظرة الناس إلى المال

بشأن المال والثروة الغنى المالي، اختلفت وجهات نظر الناس بين إفراط وتفریط. بعضهم أسبغ على المال أهمية فائقة فجعله مفتاح حل كل المشاكل، وإلى ذلك ذهب الشاعر في قوله:

فصاحبة سحبان وخط ابن مقله وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس فليس له قدر بمقدار درهم

ولذلك فإن دأب هؤلاء الأفراد جمع المال، ولا يدخرون وسعاً على هذا الطريق، ولا يتقيدون بقيد، ولا يهتمون بحلال أو حرام.

ومقابل هذه المجموعة هناك من لا يعير أية أهمية للمال والثروة، يمتدحون الفقر ويشيدون به، ويرون في المال عائقاً للتقوى والقرب الإلهي.

١- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ٧، ص ٢٩٠، ح ١٤٩٩٧.

٢- ن.م، ص ٣٠٠، ح ١٥٠٥٩.

وإزاء ذاك الإفراط وهذا التفريط، تقف النصوص الإسلامية لتبيّن أنّ المال مطلوب، ولكن بشروط:

أولها: أن يكون وسيلة لا غاية.

ثانيها: أن لا يكون الإنسان له أسيراً، بل أن يكون عليه أميراً.

ثالثها: أن يأتي بالطرق المشروعة، وأن ينفق في سبيل رضا الله تعالى .

فالرغبة في هذا المال، ليس دليلاً على حب الدنيا، بل هو دليل على الانشداد للآخرة.

ولذلك ورد عن الصادق عليه السلام، أنه لعن الذهب والفضة، فتعجب أحد أصحابه، وسأل الإمام، فأجابه: "ليس حيث تذهب إليه، إنما الذهب الذي ذهب بالدين، والفضة التي أفاضت الكفر"^٣.

فالغنى والفقر بذاتهما لا يتصفان بحسن أو قبح، بل ما يتصف بذلك هو ما يؤديان إليه، وما يلزم منهما من سلبات أو إيجابيات.

فالمال إن أظغى وأفسد فهو مذموم، أو بالأحرى الطغيان والفساد، هو المذموم، لا المال بذاته.

أما إن أدّى إلى رضا الله تعالى، وأعان على تقواه، فهو ممدوح، وهذا ما أشار إليه الحديث الأول "نعم العون على تقوى الله الغنى" والفقر إن أفسد، فهو كما يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "كاد الفقر أن يكون كفراً"^٤، وإن أصلح فهو كما يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "الفقر فخري وبه افتخر"^٥.

الغنى والفقر في القرآن

• الله هو الذي يغني ويفقر:

"وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى"^٦، "وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى"^٧، ولكن ليس معنى هذا، أن ليس للإنسان دور في ذلك.

٣-بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٣، ص١٤١.

٤- ن.م، ج٢٧، ص٢٤٧.

٥- ن.م، ج٦٩، ص٣٠.

٦-النجم: ٤٨.

٧- الضحى: ٨.

موسى عليه السلام يطلب الخروج من الفقر

"...فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"^٨.

• الغني يطغى: "...إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعَى"^٩.

• الشيطان يعدكم الفقر: "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ..."^{١٠}.

• على الفقير أن لا ينفذ صبره: "وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ..."^{١١}.
"...وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ..."^{١٢}.

• معالجة الفقر: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ..."^{١٣}. "وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ..."^{١٤}.
"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ..."^{١٥}.

• لا تؤذوا الفقراء: "قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ"^{١٦}.

• فقراء أعزاء: "...يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَافًا..."^{١٧}.

• أغنياء بخلاء: "وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى"^{١٨}. "...وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ..."^{١٩}.

٨- القصص: ٢٤.

٩- العلق: ٧.

١٠- البقرة: ٢٦٨.

١١- النور: ٣٣.

١٢- النساء: ٦.

١٣- التوبة: ٦٠.

١٤- الأنفال: ٤١.

١٥- البقرة: ٤٣.

١٦- البقرة: ٢٦٣.

١٧- البقرة: ٢٧٣.

١٨- الليل: ٨.

١٩- محمد: ٣٨.

• الأموال بذاتها لا تنفعكم في الآخرة: "لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا...".^{٢٠}

"وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى"^{٢١}. "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"^{٢٢}.

الغنى والفقر في الأحاديث

• مرارة الفقر: عن الصادق عليه السلام، فيما أوصى به لقمان ابنه: "... وذقت المرات كلها فلم أذق شيئاً أمر من الفقر"^{٢٣}.

• الفقر وخطورته: عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "كاد الفقر أن يكون كفراً"^{٢٤}. عن علي عليه السلام: "أهلك الناس اثنان خوف الفقر، وطلب الفخر"^{٢٥}.
قال علي عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: "يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعد بالله منه، فإن الفقر منقصة في الدين، ومدهشة للعقل، داعية للمقت"^{٢٦}.

• الغنى وطن ولو في الغربة: عن علي عليه السلام: "الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة"^{٢٧}.

• لا تذللوا الفقراء: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من استذل مؤمناً أو مؤمنة أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله يوم القيامة ثم يفضحه"^{٢٨}.

• الفقر الحقيقي: روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "الفقر الموت الأحمر، فقيل له: الفقر من الدينار والدرهم؟ فقال: لا، ولكن من الدين"^{٢٩}.

٢٠ - المجادلة: ١٧.

٢١ - الليل: ١١.

٢٢ - الشعراء: ٨٨.

٢٣ - بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٣، ص ٤١٣.

٢٤ - ن. م، ج ٢٧، ص ٢٤٧.

٢٥ - ن. م، ج ٧٠، ص ٣٩٠.

٢٦ - ن. م، ج ٦٩، ص ٥٣.

٢٧ - ن. م، ج ٦٩، ص ٥٣.

٢٨ - ن. م، ج ٦٩، ص ٤٦.

٢٩ - ن. م، ج ٥، ص ٢١٥.

• جواهر الرجال تعرف بالغنى والفقر: عن علي عليه السلام: "الغنى والفقر يكشفان جواهر الرجال وأوصافها"^{٣٠}.

• زينة الغنى والفقر: عن علي عليه السلام: "العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى"^{٣١}.

• ما يورث الفقر: عن علي عليه السلام: "ترك التقدير في المعيشة يورث الفقر"^{٣٢}.

• من إيجابيات الفقر: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء: المرض والموت والفقر، وكلهنّ فيه وإنّه لمعهنّ لوّثاب"^{٣٣}.

الصبر عن الغنى المنحرف

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل والتحجير، ولا الغنى إلا بالغصب والبخل، ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز، اتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بي"^{٣٤}.

• رسول الله لا يبيع المبادئ مقابل المال الفاني:

لما أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة بمكة اجتمعت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك قد سقّه أحلامنا، وسبّ المهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا، فإن كان الذي يحمله على ذلك العدم، جمعنا له مالاً حتى يكون أغنى رجل في قريش ونملكه علينا، فأخبر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري ما أردته، ولكن يعطوني كلمة يملكون بها العرب، ويدين لهم بها

٣٠- ميزان الحكمة، الري شهري، مج ٧، ص ٢٩١، ح ١٥٠٠١.

٣١- بحار الأنوار، المجلسي، ج ٦٩، ص ٥٣.

٣٢- ن.م، ج ٦٨، ص ٣٤٧.

٣٣- ن.م، ج ٦٩، ص ٥٣.

٣٤- بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٨، ص ١٤٧.

ذلك، فقالوا: ندع ثلاث مائة إله ونعبد إلهاً واحداً! ٣٥.

• الغنى والفقر ليس في الدنيا: عن علي عليه السلام: "الفقر والغنى بعد العرض على الله" ٣٦.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من مات ولم يترك درهماً ولا ديناراً لم يدخل الجنة أغنى منه" ٣٧.

خاتمة

ليس الغنى المادي مذموم بذاته، كما أنّ الفقر ليس بذاته قبيح، إنما المذموم هو ما يؤديان إليه من مفسد، والإسلام يدعو إلى الغنى ويعمل له عبر كثير من تشريعاته كالزكاة والخمس والصدقة وغير ذلك، فلو أن الإسلام لا يريد الغنى لما شرّع هذه التشريعات.

ولكن المسألة كل المسألة أن لا نطغى إذا أغنانا الله تعالى، ولا نياس إذا أفقرنا الله، وبذلك نكون مسيطرين على أنفسنا بفضل الله تعالى.

٣٥- ن.م، ج ١٨، ص ١٨٢.

٣٦- ن.م، ج ٦٩، ص ٥.

٣٧- الدعوات، قطب الدين الراوندي، ص ١٢٣.

س: هل يجوز شراء واقتناء واستخدام جهاز التقاط البرامج التلفزيونية من الأقمار الصناعية الدش والطبق وما هو الحكم فيما لو حصل عليه مجاناً؟

ج: جهاز الدش بما أنه مجرد آلة لالتقاط البرامج التلفزيونية بما فيها من البرامج المحرمة والمحللة فحكمه حكم الآلات المشتركة في حرمة بيعها وشرائها واقتنائها للانتفاع بها في الجهات المحرمة، وفي جواز ذلك فيما إذا كان للانتفاع المحلل منها، ولكن هذه الآلة حيث إنها تسهل لمن كانت هي لديه التورط في التقاط البرامج المحرمة أو قد تترتب على اقتنائها مفساد، فلا يجوز شراؤها واقتنائها إلا لمن يطمئن من نفسه بأنه لا يستفيد منها في الحرام ولا يجعله في متناول يد من يريد الانتفاع المحرم منها ولا تترتب على حصوله عليها ولا على اقتنائها لها في بيته مفسدة.

س: عملي تصليح أجهزة التقاط برامج الإذاعة والتلفزيون، وفي الآونة الأخيرة توالى مراجعات الزبائن من أجل تركيب وتصليح جهاز الالتقاط من القمر الصناعي الطبق والدش فما هو تكليفنا في ذلك؟ وما هو حكم بيع وشراء قطع هذا الجهاز؟

ج: إذا كانت الاستفادة من مثل هذا الجهاز في الحرام كما هو الغالب، أو كنت على علم بأن من يريد الحصول عليه يستفيد منه في الحرام فلا يجوز بيعه وشراؤه ولا تركيبه وتشغيله وإصلاحه وبيع قطعه^{٣٨}.

س: ما هو حكم بيع وشراء بطاقات اليانصيب وما هو حكم جوائزها التي يفوز بها المكلف؟
ج: لا يصح بيع وشراء بطاقات اليانصيب، ولا يملك الفائز الجائزة ولا يحق له استلامها^{٣٩}.

٣٨- أجوبة الاستفتاءات، القائد الخامنئي، المعاملات ١- ج ٢، ص ٤٨ ٤٧.

٣٩- ن.م، ص ٥٦.

خلاصة الدرس

- أ- الناس تجاه المال ثلاثة أصناف: صنف همهم المال وجمعه، وآخر لا يهتم بالمال ويمتدح الفقر، وصنف ثالث: يريد المال ولكن ليس همّه الأساسي.
- ب- الإسلام مع الصنف الثالث ويشترط عليه شروط: ^١ أن يكون المال وسيلة لا غاية، ^٢ أن لا يكون أسيراً له، ^٣ أن يأتي به بالطرق المشروعة، وينفقه في سبيل الله.
- ج- الغنى بذاته ليس قبيحاً، كما أن الفقر بذاته ليس مذموماً، وإنما المذموم ما يؤديان إليه من مفاسد.
- د- الغنى والفقر في القرآن: الله هو الغني، موسى عليه السلام يطلب الخروج من الفقر، الغني يطغى، الشيطان يعدنا الفقر، على الفقير أن يصبر، لا تؤذوا الفقراء، معالجة الفقر عبر الأموال الشرعية، على الغني أن لا يبخل، وعلى الفقير أن يكون عزيزاً، الأموال بذاتها لا تنفع يوم القيامة.
- هـ- الغنى والفقر في الأحاديث: مرارة الفقر، الفقر وخطورته، الغنى وطن ولو في الغربة، لا تذللوا الفقراء، الفقر الحقيقي فقر الدين، جواهر الرجال تعرف بالغنى والفقر، زينة الغنى الشكر وزينة الفقر العفاف، ترك تقدير المعيشة يورث الفقر، من إيجابيات الفقر التذكير بالله في بعض الأحيان، رسول الله لا يبيع المبادئ مقابل المال الفاني.

أسئلة حول الدرس

- ١- كيف نظر الناس إلى الغنى؟
- ٢- ما هي وجهة نظر الإسلام تجاه الغنى؟ وما هي شروط الإسلام للغنى؟
- ٣- هل الغنى والفقر بذاتهما مذمومين؟
- ٤- اذكر بعض الآيات في الغنى والفقر، وعنونها؟
- ٥- اذكر بعض الأحاديث في الغنى والفقر، وعنونها؟

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "كاد الفقر أن يكون كفراً"^{٤٠}.
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "نعم العون على تقوى الله الغنى"^{٤١}.

٤٠ - بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٧، ص ٢٤٧.

٤١ - ميزان الحكمة، الري شهري، مج ٧، ص ٢٩٠، ح ١٤٩٩٧.

للمطالعة

أمريكا تستعمل سلاح الغذاء لاختضاع الشعوب

إن الاستكبار يستعمل سلاح الاقتصاد لإخضاع الشعوب الفقيرة، يقول الرئيس الأمريكي السابق فورد من على منبر الأمم المتحدة في أيلول عام ١٩٨٤: "إن بلدان الأوبيك يجب أن لا تعود إلى استخدام البترول كسلاح وإلا فعلت الولايات المتحدة الشيء نفسه بالنسبة للغذاء."

وكان هـربرت هوفر أول سياسي عصري يعتبر الغذاء سلاحاً أكثر فاعلية من دبلوماسية البوارج الحربية أو التدخل العسكري^{٤٢}.

مثال على طغيان الدول المستكبرة

في الوقت الذي يعيش فيه أكثر الناس الفقر المدقع، تقوم السوق الأوروبية المشتركة بالتخلص من أطنان الزبدة كي لا ينخفض سعرها في السوق، كما أن فائضها الهائل من المواد الغذائية يتم التصرف به بأشكال لا تقل في لا عقلانيتها.

والشيء نفسه يحدث في الولايات المتحدة حيث يتم اتلاف جزء من انتاج القمح أو الفواكه إذا ما تطلبت ضرورات السوق ذلك.

تفعل أمريكا هذ وكثير من الأمريكيين يعيشون حالة الفقر، ففي احصاء لمكتب الإحصاء الأمريكي في سنة ١٩٧٦ أن ١٢% من الأمريكيين أي ٢٦ مليون شخص يعيشون في حالة فقر وأن كثيراً منهم يعانون من نقص غذائي خطير^{٤٣}.

انتشار الفقر في العالم أمثلة:

في أفريقيا نجد أنّ التقديرات في أوائل السبعينات كانت تشير إلى أنّ الجوع المزمن وسوء التغذية، هما الحالة العادية لثمانين مليوناً أفريقياً، قفز في النصف الأول من

٤٢- مجلة الفكر العربي، عدد ٥٤، ص ٢٢٦.

٤٣- عالم المعرفة، عدد ١٦١، أمراض الفقر، ص ١٢١١.

الثمانينات إلى مائة مليون،... وأن الاف الأطفال يموتون يومياً من جرّاء سوء التغذية والأمراض المترتبة عليها.

وتشير معلومات "اليونسيف" عن المسح الغذائي في الهند في منتصف السبعينات إلى أنّ الإصابة المؤسفة بسوء التغذية يصيب أكثر من ثلث الهنود، وهناك حوالي ٢٢٤ مليوناً من ٦٠٠ مليون هندي يستهلكون أقل من ثلاثة أرباع السعرات الحرارية التي يحتاجونها، بينما يستهلك ٥٣ مليوناً أقل من نصف الحد الأدنى لطاقتهم اليومية^{٤٤}.

٤٤-ن.م، ص٤٨.

الفهرس

٥	المقدمة
٧	الدرس الأول: التوكل (غنى الله)
٧	التوكل لغة وشرعاً
٨	التوكل والأسباب الطبيعية
٨	التوكل دعم للروح
٩	التوكل في القرآن (نماذج)
١٠	التوكل على الله في الأحاديث
١٢	خاتمة
١٣	من فقه الإسلام
١٤	خلاصة الدرس
١٤	أسئلة حول الدرس
١٥	للحفظ
١٦	للمطالعة
١٩	الدرس الثاني: الآخرة
١٩	ضرورة الاعتقاد بالآخرة
٢٠	التفكير بالحياة بعد الموت هاجس إنساني
٢٠	اكتشاف ما بعد الموت يحبي أمماً وأفراداً
٢١	القرآن والموت وما بعده
٢٢	الأحاديث وما بعد الموت
٢٣	خاتمة
٢٤	من فقه الإسلام
٢٥	خلاصة الدرس
٢٦	أسئلة حول الدرس

٢٦	للحفظ
٢٧	للمطالعة
٢٩	الدرس الثالث: العقل
٣٠	موانع العقل
٣٢	تنمية العقل
٣٣	العقل في القرآن
٣٤	بعض ما ورد في السنة في العقل
٣٥	خاتمة
٣٦	من فقه الإسلام
٣٧	خلاصة الدرس
٣٧	أسئلة حول الدرس
٣٨	للحفظ
٣٩	للمطالعة
٤١	الدرس الرابع: اليقين
٤١	الشك
٤١	الظن
٤٢	اليقين
٤٣	بين اليقين العقلي والقلبي
٤٤	أهمية اليقين وثمراته
٤٥	ما يساعد على تحصيل اليقين
٤٦	موانع اليقين
٤٧	خاتمة
٤٨	من فقه الإسلام
٤٩	خلاصة الدرس
٤٩	أسئلة حول الدرس
٥٠	للحفظ
٥١	للمطالعة
٥٣	الدرس الخامس: القرآن
٥٣	ضرورة التشريع

٥٥	القرآن الكريم القانون الإسلامي الدائم
٥٧	القرآن بين الأمس واليوم
٥٨	القرآن في القرآن (نماذج)
٥٩	القرآن في الحديث (نماذج)
٦٠	خاتمة
٦١	من فقه الإسلام
٦٢	خلاصة الدرس
٦٢	أسئلة حول الدرس
٦٣	للحفظ
٦٤	للمطالعة
٦٥	الدرس السادس: العبادة
٦٥	الدين والعبادة تاريخياً
٦٦	الأنبياء يحاربون العبادات المنحرفة
٦٨	العبادة في القرآن الكريم
٦٩	العبادة في الأحاديث
٧٠	خاتمة
٧١	من فقه الإسلام
٧٢	خلاصة الدرس
٧٢	أسئلة حول الدرس
٧٣	للحفظ
٧٤	للمطالعة
٧٥	الدرس السابع: التقوى
٧٥	التقوى لغة وشرعاً
٧٦	التقوى في القرآن (نماذج)
٧٧	من صفات المتقين
٧٨	التقوى في الأحاديث
٨٠	خاتمة
٨١	من فقه الإسلام
٨٢	خلاصة الدرس

٨٢	أسئلة حول الدرس
٨٣	للحفظ
٨٤	للمطالعة
٨٧	الدرس الثامن: الأخلاق
٨٧	الإنسان صاحب إرادة
٨٨	أمهات الأخلاق
٨٩	كيف تحصل الخلق الحسن
٩١	خاتمة
٩٢	من فقه الإسلام
٩٣	خلاصة الدرس
٩٣	أسئلة حول الدرس
٩٤	للحفظ
٩٥	للمطالعة
٩٧	الدرس التاسع: النفس
٩٧	ما يقوي إرادة النفس
١٠٠	نماذج قوية الإرادة
١٠١	نماذج ضعيفة الإرادة
١٠٢	خاتمة
١٠٣	من فقه الإسلام
١٠٤	خلاصة الدرس
١٠٤	أسئلة حول الدرس
١٠٥	للحفظ
١٠٦	للمطالعة
١٠٧	الدرس العاشر: الحسد
١٠٧	تعريف الحسد
١٠٧	درجات وأنواع الحسد
١٠٨	ذكر بعض أسباب الحسد
١٠٩	في بعض سلبيات الحسد
١٠٩	علاج الحسد

١١١	خاتمة
١١٢	من فقه الإسلام
١١٣	خلاصة الدرس
١١٣	أسئلة حول الدرس
١١٤	للحفظ
١١٥	للمطالعة
١١٧	الدرس الحادي عشر: القناعة
١١٧	معناها لغة وفي المرتكزات الشرعية
١١٨	الاجتماع الغريبي والحرص
١١٩	آفات الحرص
١١٩	علاج الحرص والطمع
١٢٠	خاتمة
١٢١	من فقه الإسلام
١٢٢	خلاصة الدرس
١٢٢	أسئلة حول الدرس
١٢٢	للحفظ
١٢٣	للمطالعة
١٢٥	الدرس الثاني عشر: الغنى والفقر
١٢٥	نظرة الناس إلى المال
١٢٦	الغنى والفقر في القرآن
١٢٨	الغنى والفقر في الأحاديث
١٢٩	الصبر عن الغنى المنحرف
١٣٠	خاتمة
١٣١	من فقه الإسلام
١٣٢	خلاصة الدرس
١٣٢	أسئلة حول الدرس
١٣٣	للحفظ
١٣٤	للمطالعة
١٣٦	الفهرس